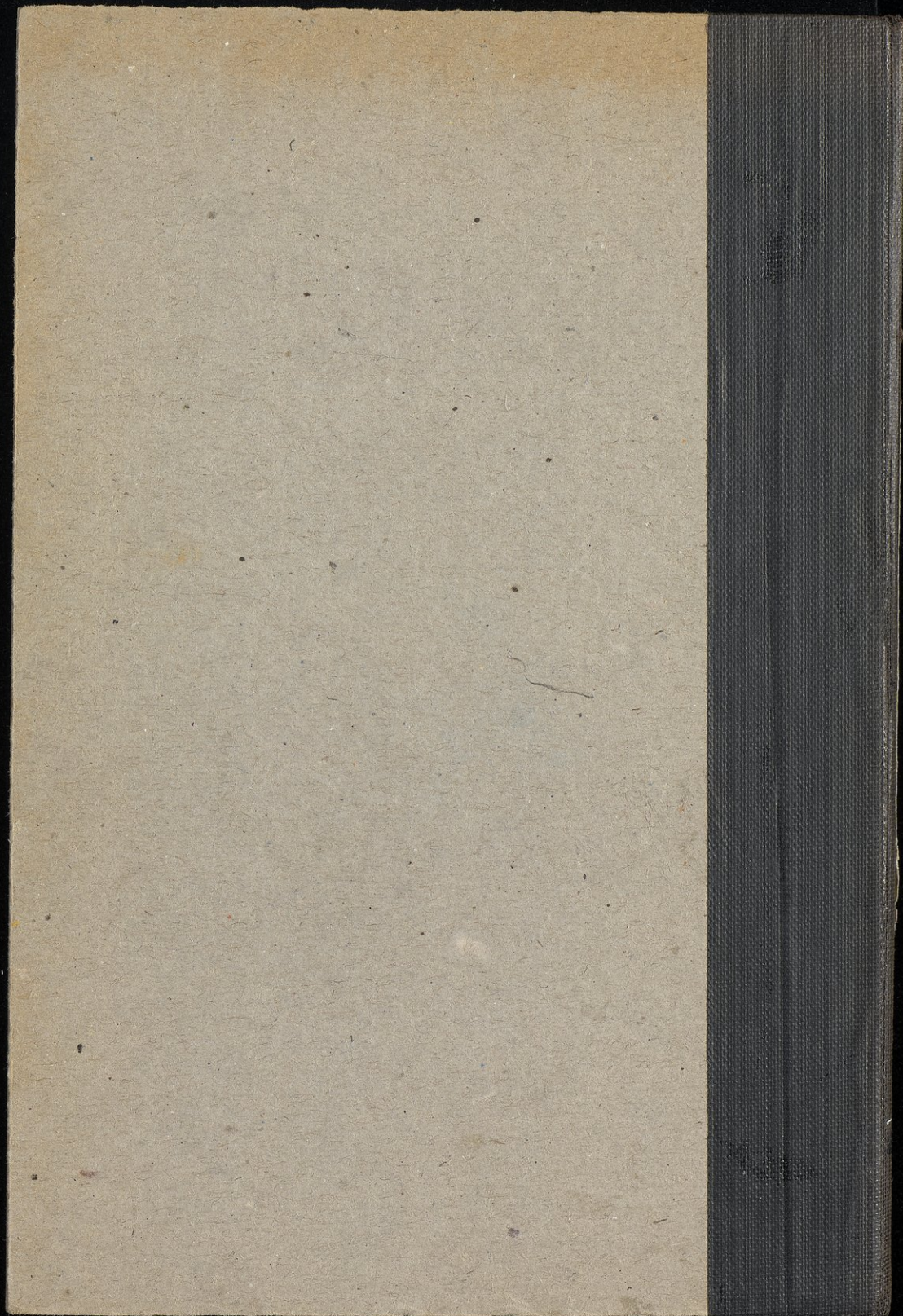




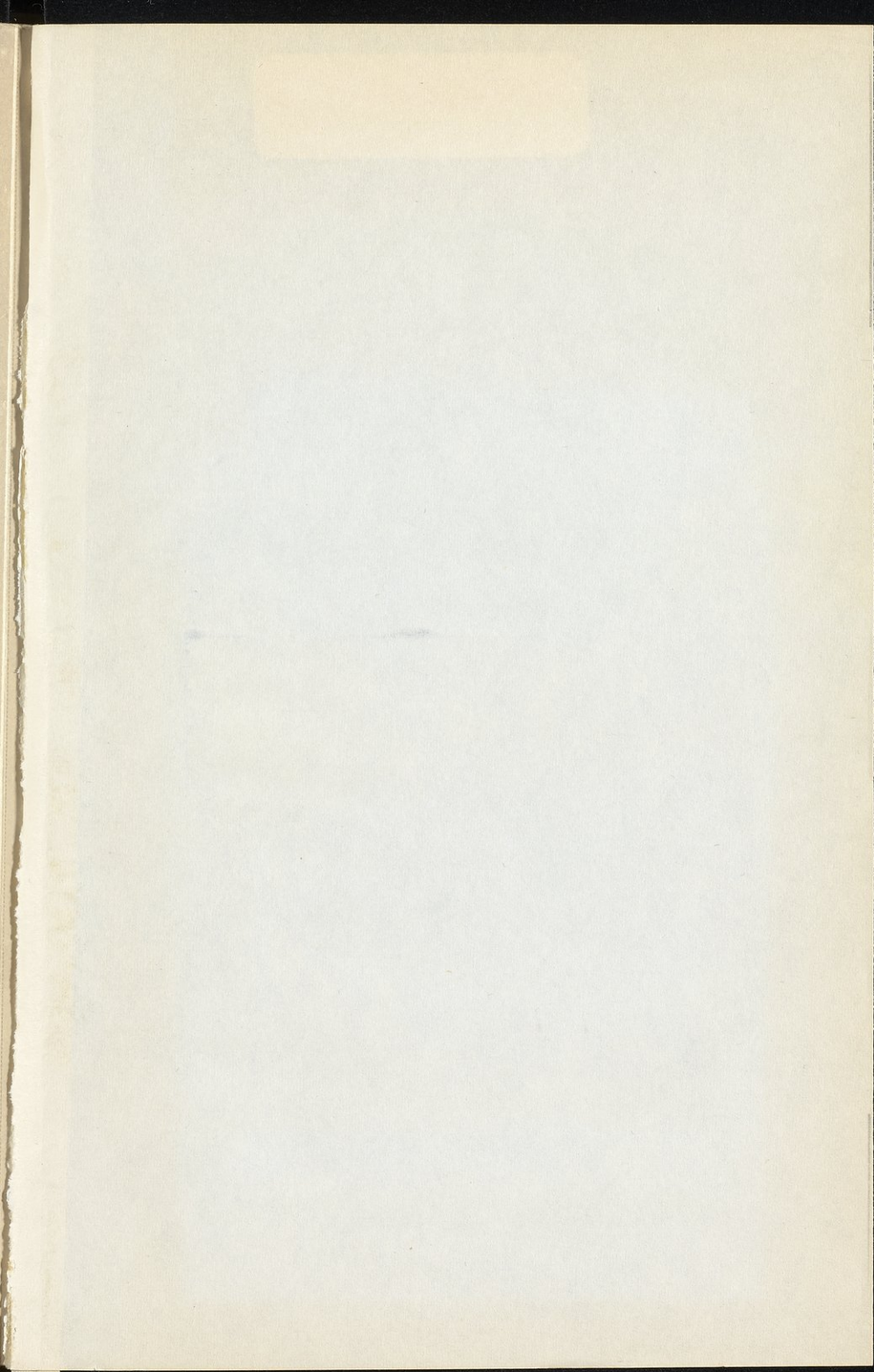
2267
1736
349

[illegible]

Princeton University Library

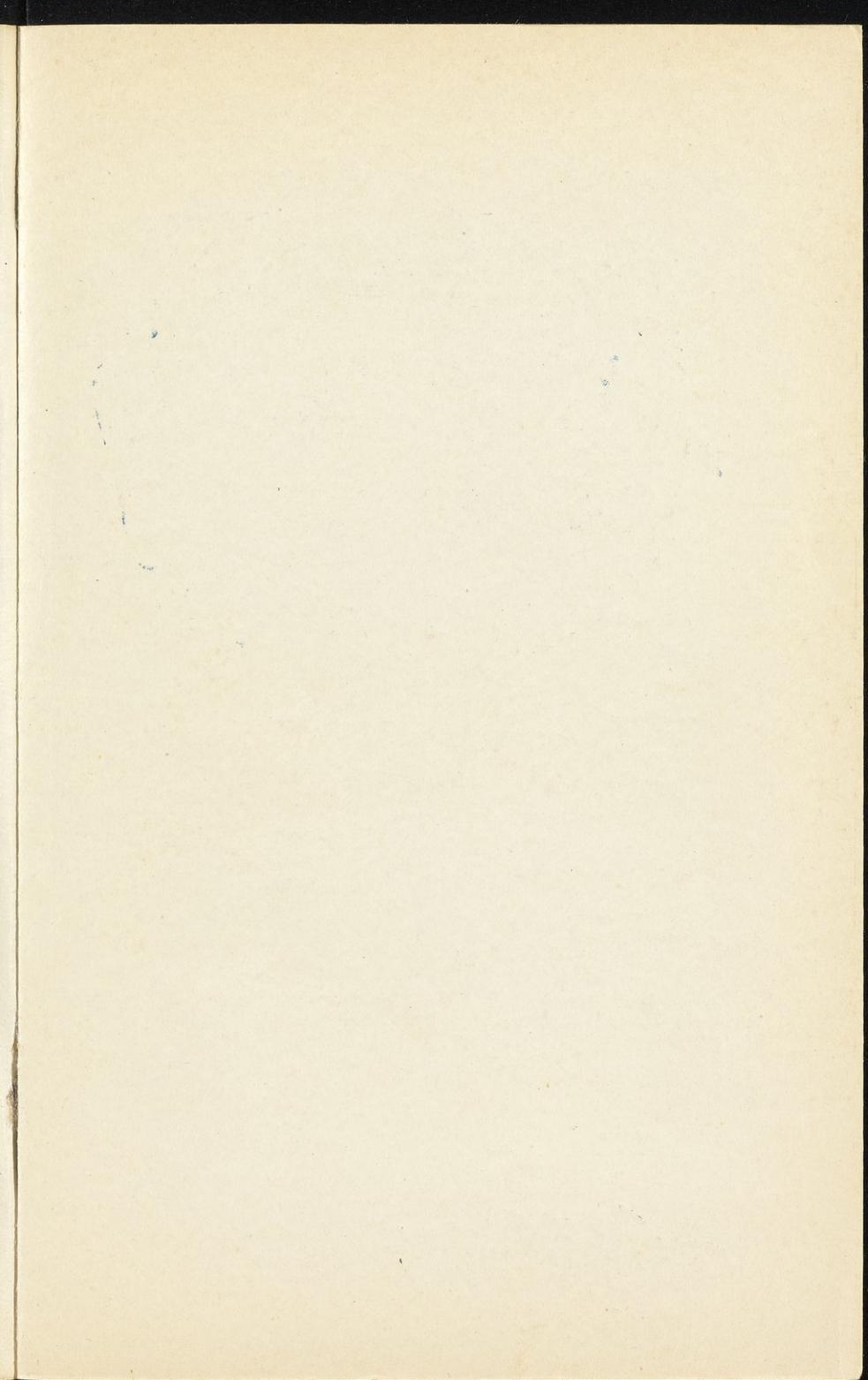


32101 073546242





عبد الرحمن البدي



al-Bayk, Abd al-Rahmān

عبدالرحمن البیک

جسٹس ہوسٹ

Tasad al-hukūmah

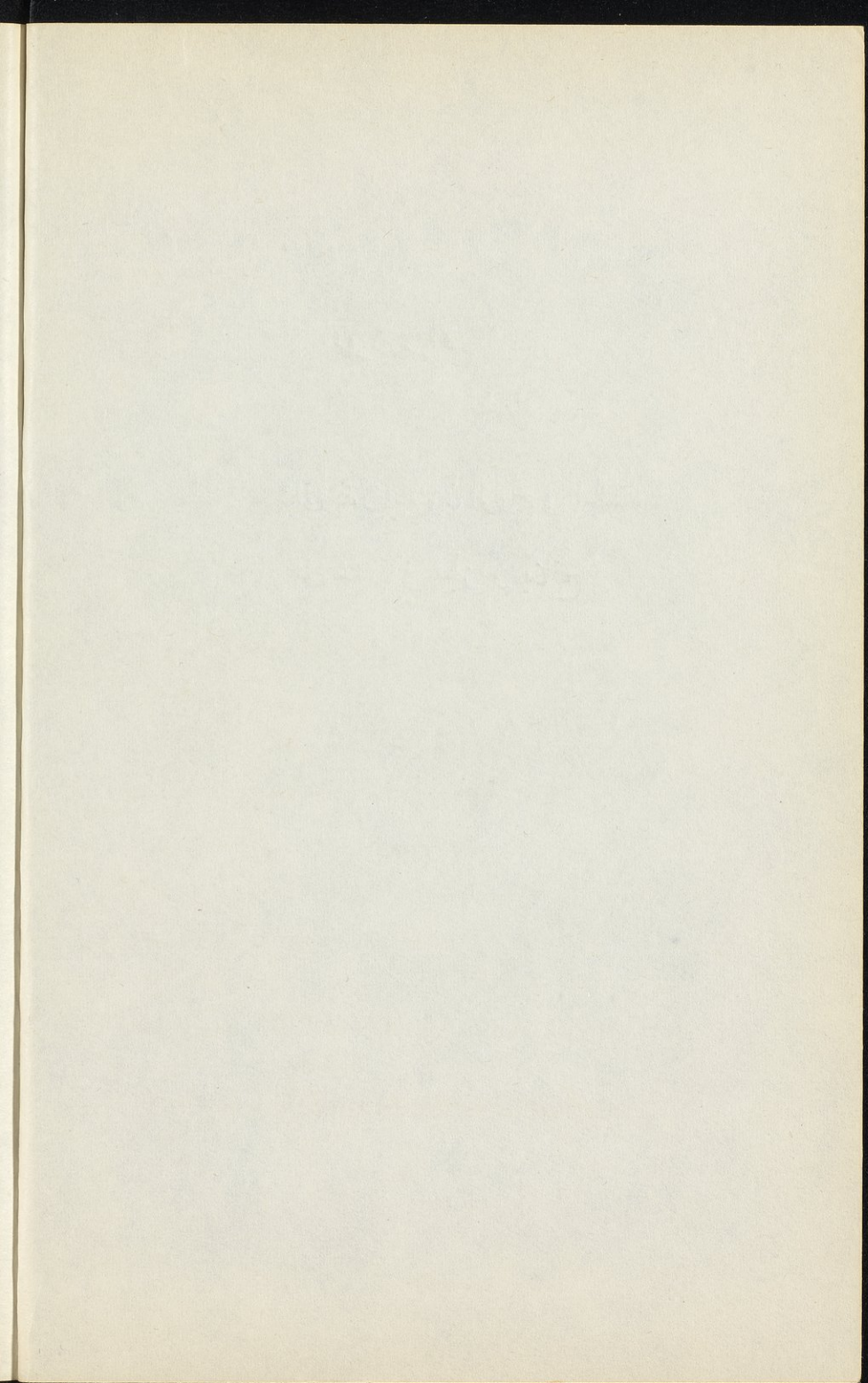
مجموعۂ قصص

2267
.1736
.349

الطبعة الأولى
نشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨

الرهاء

الى الذين يبعثون الروح في الجسد
الى شعب في الجزائر يكافح



المقدمة

في مقال بعنوان «الجلادون»، لأحد الكتاب الفرنسيين^(١) تحقيق صادق عن أسباب التعذيب والتنكيل التي يعامل بها الفرنسيون ، أحرار الجزائر .

فقد صدر منذ عهد قريب ، كتاب في فرنسا بعنوان « الاستجواب Question » ؛ ينقل الى الضائر الحية ، صور التعذيب والاضطهاد التي يسوم بها الفرنسيون ، سكان الجزائر الأصليين .

ومؤلف الكتاب ، مواطن فرنسي اسمه بيار اليغ Pierr Alleg ، وهو الآن نزيل سجون الجزائر .

وعنوان كتاب اليغ ، يصور الواقع أدق تصوير . إذ ان الواقع هناك ، هو هذا المذاب الذي يستضيفون به نزلاء السجون . وليس هناك الا الاضطهاد والتنكيل يعاملون بها أحرار الجزائر . ان الاستجواب ، يفضح أسباب الاستبداد التي يكتم بها المسؤولون الفرنسيون أفواه الأحرار ؛ وهو يعلن بأن طرق

(١) جان بول سارتر : ترجمة عابدة مطرجي ادريس

البطش والعنف والتعذيب ، ليست مفيدة لاتخاذ مجد فرنسا وكرامة جيشها من الخضيض ، بل هي طريقة من أجل الوصول الى اسرار الثوار ، للقضاء على ثورهم .

أما مقال « الحلايين » . فإنه عبارة عن تعقيب على ذلك الكتاب . وهو في الحقيقة صورة ناطقة عن الروح التي تجلت في رجالات فرنسا .

ومن خلال ذلك المقال ، يدين أبناء فرنسا فرنسا .

يقول كاتب الجلايين : (١)

« فاذا كان على الوطنية ، أن ترمينا في حضن الحقارة ، اذا لم يكن هناك أي حاجز في أي مكان ، لا يمنع في أية لحظة الامم ولا الانسانية كلها من ان تنصب في الانسانية ، فلماذا نحن اذن نكلف أنفسنا هذا الجهد كله لنصبح أو لنظل بشراً ؟ ان الانساني هو حقيقتنا . » .

لم يعرف أحد بعد ، على وجه البسيطة ، غاية فرنسا . فقد تواترت أعمالها في الجزائر بين كثير من المفاهيم المتباينة ، تلك المفاهيم التي تظل ابداً سلبية . .

فلننظر ما يقول الكاتب بهذا الخصوص :

(١) مجلة الآداب ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٥٨

« والمفارقات في الجزائر غير قابلة للتخفيف . ان كلا من الفريقين المتصارعين . يطالب بطرد الفريق الآخر بصورة جذرية . ولقد سلبنا المسلمين كل شيء ، ثم حرّمنا عليهم كل شيء ، حتى استعمال لغتهم الخاصة . ولقد صفينا حضارتهم فـيـيـا منعنا عنهم حضارتنا . كانوا قد طلبوا الانضمام (؟) فقلنا لهم .. لا .. » .

« ان النظام المتبع ، كان يدفعهم ، وهم البؤساء الجبهة المحتاجون للغذاء (١) ، الى تخوم الصحراء ، والى آخر حدد الانساني دفعاً لا شفقة فيه ، وقد كان مستوى حياتهم ، بسبب ازدياد المواليد ، ينحدر من سنة الى سنة . وحين دفعهم اليأس الى الثورة ، قلنا عليهم ، هؤلاء الالبشر ، ان يموتوا أو يؤكّدوا انسانيّتهم ضدينا ، فاذا هم يطرّحون قيمنا وثقافتنا وتفوقنا المزعوم . واستوى عندهم ان يطالبوا بصفة الانسان أو ان يرفضوا الجنسية الفرنسية . »
في هذا الحديث ، مساس في جوهر القضية . ان العبرة هي في هذه الفكرة .. جعل الجزائر فرنسية ، مع اجتثاث اسلامها وحرّهم في غياهب الصحارى الجنوبية .

(١) تجاهل سارتر في كتابته الاسباب التي ادت الى بؤسهم وجهلهم وحاجتهم الى الغذاء . فهل يحسب أنهم بؤساء وجهلة بالبطرة .. ؟ هل يوافق على فكرة الاستعمار الاصليّة التي يتخذونها ذريعة للاحتلال والتي تتلخص بتثقيف الشعوب الجاهلة والنهوض بالامم البائسة ؟

فاذا كانت القضية أكثر من استعمار - ويمكن ان نسميها
استملاك - . فان في القضية وجهة نظر .

لماذا يريدون استملاك الجزائر وشعبها - أو بلا شعبها -
أحضارتهم الرفيعة، وهم الذين لا يتميزون عن سواهم من الاناس،
أم لمعاملتهم المشهورة للسكان ؟.. ان كلا الصفتين تدinan فرنسا .

فليس لفرنسا تلك الصفة الحضارية التي تجملها مباداة متفوقة
على الشعب الجزائري . لأن الصفة الحضارية لا تقاس الا بنبل
الخلق وحسن المعاملة وصفاء النية ومحبة الناس بشقي أجناسهم
وملهم (١) .. فهنا هو كتاب الاستجواب يلقي الضوء على

(١) وبهذا الخصوص قال غوستاف لوبون : « ما عرف
التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » . وحتى الآن لم يقل أحد
ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من فرنسا .

ان اشارة لوبون اننا هي اشارة الى سمو الاخلاق
الاسلامية ، ونبل أصلها .. فقد كانت المبادئ الاسلامية
تفتح النفوس لا البلاد .. كانت تغزو النظم الاجتماعية الجائرة
الموغلة بالظلم . كانت توحد بين الانسان في الارض قاطبة
بفكرة الايمان .. بفكرة الخضوع ، لا الى زعيم سيامي ، او
قائد مغوار .. وانما الى سلطة عليا تجعله لا يستكين الى
احكام الزعماء الظالمين وقسوتهم ، وانما الى خالق واحد .

الأساليب الممجبة التي تستعمل لقتل روح اليقظة في الجزائري المسلم ، انه يعبر أصدق التعبير عن الجهد الذي يبذل لاطفاء جذوة الذهن الجزائري .

والجلادون ، وهو المقال المصادق على ذلك ، ينوه تنويرها واضحا عن طرح الجزائريين لقيم فرنسا وثقافتها .

فأمنية الجزائريين في الاستقلال هي خير من حضارة الخمر والرقص والخلاعة ، ورغبتهم في أن ينهلوا من ذخائر التراث الاسلامي ، ليخلقوا مجتمعيهم ، لا تفوقها رغبة .

والقضية لا تقف عند الحدود التي رسمها كاتبها الاستجواب والجلادين . فالكاتبان لم يكتبوا الا النزر اليسير عن الهدف الذي تسعى اليه فرنسا .

فما لا ريب فيه ان هناك صراعاً فكرياً ، تدور رحاه في جميع أنحاء العالم ... نظم وشرائع تتلاطم وتتصارع من أجل أن تسود .

وعليه فقد يمكن التصور - أو من الواجب التصور - بان ما يكتب عن هذا الشعب المكافح المناضل من اجل الحرية ، انما ينطبق بالتمام على شعب آخر يكافح ويناضل من أجل الحرية ، ولا يلزم من أجل ذلك سوى استعارة أسماء أبطال

القصة من بلد مكافح لاعطاؤها أبطال قصة أخرى عن
بلد آخر ..

فالقصة واحدة ، كما ان الانسان واحد ، وتتلخص في
انهاء عهد السيطرة والهيمنة التي يحارب بها المتفوقون
الضعفاء !!

فليس من العدل ان تقدم أمة على اسداء العون الفكري
الى أمة أخرى قسراً وقهراً وجبراً .. ان هذا الأسلوب لا شئ
وأخطر نتيجة من الأسلوب القديم .. أسلوب الفتح وتقديم
العون الاقتصادي ..

فالاقوام الحرة ، لا تتنازل عن أفكارها الخاصة مهما جهد
مهندسو النظريات في النيل منها والخط من قيمتها . وبهذا
الخصوص يذكر كاتب مقال الجلادين (١)

« لا ليس التعذيب مديناً ولا عسكرياً ولا فرنسياً على
على وجه التخصيص . انه وباء يكتسح العصر كله ، فقد عرف
الشرق والغرب جلادين ، ولا يخفي البولونيون ان الشرطية
عندهم كانت تعتمد ، قبل بوزنان (٢) الى الاستجواب ، أما ما
كان يحدث في الاتحاد السوفياتي في حياة ستالين ، فان تقرير

(١) المصدر السابق

(٢) مدينة من مدن بولونيا ، قامت بثورة ضد نظام الحكم
منذ سنوات قريبة .

خرو تشيف شاهد لا يرد على ذلك . . واليوم أتى دور قبرص
والجزائر . .

هذا رأي وجيه ، وفكرة عظيمة . فليس التعذيب الذي
يلقاه أحرار الشعوب بذي صفة مدنية وعسكرية انما هو ذو
علاقة بالانسانية . أو قل بالحياة ذاتها . فالفريقان ، من شرق
وغرب ، يستحثان الخطا على ترويض الشعوب من أجل تقبل
أنظمة الحكم التي يفرضانها ، فالغرب يدأب على ربط الشعوب
بمجلتة ، لتحارب في حربه ، وتتاجر في اقتصاده . والشرق
يعمل على تذويب الأقوام في بوتقة تفكيره ، ليمتزج في كيانه ،
ضاربا بذلك عرض الحائط ، كل فرصة يمكن فيها للفكر أن يناقش
مواضيع الحياة والاقتصاد والفن ، بالنسبة لافكار الأقوام
الأخرى . .

من أجل ذلك ، يمكن القول بأن القضية الجزائرية ذات
صفة تتعلق بالانسانية جملة ، لأن ما يجري فيها شبيه بما يجري
في دول أخرى تتألب على الاستعمار . .

* * *

واخيرا . . ما علاقة هذه المجموعة القصصية بذلك التحليل
الذي أوجزت في سرده ؟

ان العلاقة ولا شك واضحة ، فقصة « جسد الجمهورية »

انما هي صورة عن حياة مناضل جزائري أفنى العمر وضحي
بالنفيس في سبيل استقلال بلاده .

واليوم تشرف الامة العربية على عتبة الوحدة ، فلا بد لها
من هاد يهديها السبيل ، ولا بد لها من قائد يرد بها منهل التاريخ .
واذا كانت هذه الفكرة ألصق بمفكر سياسي أو زعيم شعبي ..
فانه من الخطأ المغالاة في ذلك ..

فالامة العربية ، ليست بحاجة الى انتصارات سياسية
فحسب .. انما هي بحاجة الى وعي ثقافي .. وعي يدلك على توقد
الذهن العربي ، أما الوعي السياسي ، فانه أدني درجة ، لان
السياسة لا تتعلق بعامة الشعب ، وانما يمارسها قلة ، على شاكلة
مديري الادارات والمؤسسات .

واذا تحرينا الحق ، وجدنا ان الامة العربية بحاجة الى
الأدب هادياً لها ، والى الفكر رائداً بها منهل التاريخ .
ان الدور في بعث الامة العربية من سباتها ، يجب ان يلعبه
الأدب .. الأدب الرفيع .. أي الشعر القومي ، والقصص
الاخلاقية ، والمقالات الروحية .

وأحسبني في هذه المجموعة ، قد سلكت ما نوهت عنه اذ
انني أعتقد كل الاعتقاد ، بان أمتنا ليست بحاجة الا الى أدب
أخلاقي . أما الأدب الانحلالي الذي ينبغي نشر الاباحية والفسق .
فان مأواه رؤوس المستعمرين الذين يحملون رايات الاستعمار الملونة .

ع . ب

جس کے لئے

لفظهم الضباب فجأة ، كانوا موزعين على جانب الطريق بدون انتظام . فسادت بيننا موجة من الصحة ، وقد سكت هدير المحرك على حين غرة ، فلم نعد نسمع الا صرير الرياح وهي تخترق الجبال البعيدة التي تشبه أنف جسد يتنفس ...

وهمس الرجل المعجوز في أذني قائلا : « من هؤلاء » . فحدقت ملياً فيمن استوقفنا ثم قلت للشيخ : « لقد وصلنا حدود المنطقة . فاذا ما تخلصنا من اولئك الصعاليك وصلنا الجماعة » .

كانوا مدججين بالسلاح ، وكان بينهم شاب متشح رداء طويلاً وخوذة رمادية ، فسألت السائق عن حل ، ولكن وقته لم يتسع للاجابة ، فقد نزعه جندي عن المقود ثم ما لبث أن عمم أمره علينا بالنزول .

برحنا أمكنتنا .. كنا خمسة أشخاص . أنا وسائق جرمي وشيخ طاعن وامرأة قبيحة الشكل وطفلة اسمها منى . كنا نمثل دور الاسرة البريئة التي أجبرتها ظروف القتال على التنقل ، ابتغاء للأمن وطلباً للطمأنينة .

ولكن الواقع أوحى لهم بالشك .. فأمرونا أن نكشف غطاء صندوق السيارة . فترددنا وتبادلنا النظرات متوجسين ..

فقد كدنا نشرف على هاوية الغشل ، فاتبعنا اسلوب
المماثلة والتلكؤ ، ولكن ذلك زاد ريتهم وقوى رغبتهم في
تمحيص أمرنا وتدقيق شأننا .

وما هو الا قليل ، حتى أخذوا يوخزوننا بالحراب ويهددوننا
بالقتل . عندئذ نزع السائق غطاء الصندوق ، ففزعوا مما شاهدوا
وذهلوا مما رأوا فأغمضوا أعينهم ثم تغافروا متباعدين وتفرقوا
مشحزين .

أنشاء ذلك إقتلعتني يد جندي من مكاني واذا بي امثل بين
يدي الضابط ، فأخذ هذا يسألني بالفرنسية .. بعضاً من اسئلة ،
فهمت فحوها ولكنني اصطنعت الجهل ، فأخذت أهز رأسي
وأقلب كفي وشفقي مما زاده قهراً وغيظاً . فعاد يقول بان لديه
معلومات بشأن سيارة تحمل الذخيرة الى المحاصرين .

ثم أضاف بانه لن ينخدع ولن يتوانى عن الضرب بيد من
حديد على أمثالنا من الأشقياء . وأخيراً قلت له بالاماءة ، بان
تلك الجثث التي انكشف عنها الغطاء ليست الا حصاد معركة
الأمس .. أبي وبعض اخوتي وابناء جيراني .. كلهم ماتوا دفاعا
عن مقدراتهم ، فمن الواجب والحالة هذه أن تقوم بدفنهم في
جوار تلك التلال المخضبة بأشجار الزيتون . ولكن الضابط لم
يصدق دعواي فأمر بتعذبي ..

كان الضباب لا يزال يمسح غشاوته الكثيفة بيننا ، فاستطعت
الافلات. وفي حفرة الى جانب الطريق اقيت بنفسني ، ثم اعتصمت
في سكون وصمت عميقين .

وانطلق الجنود في اثري ، وراحوا يبحثون ويتقصون ،
وكنت أشاهدهم من مكاني وكأنهم الأشباح .

وكان الضابط يصدر أوامره السريعة وهي ممرغة بالحق
والغيظ والغضب ، ولكنه لم يكن يحظى الا بصدى بعيد يتكسر
على السفوح .

انفت نحو اليمين ، فبدت لي السيارة وكأنها ظل رقيق .
فخطر لي ان التجيء اليها وأنطلق بها ، ولكنني تذكرت أمر
السائق والرجل الطاعن بالسن والمرأة القبيحة والطفلة الصغيرة ،
فأحجمت . وكان الجنود آنذاك يتوافدون ترى نحو ضابطهم ،
يلغونه فشلهم ويقصون خيبتهم ويزفون اخفاقهم .

وأخيراً صاح الضابط بملء صوته يندرنى بتسليم نفسي . .
فرددت السهول صوته وابتلعت حجب الضباب رنته حتى ضمتها
أطراف السهول التي تموت عند سفوح التلال ؛ فلما عرف انني
لن أذعن لأرادته ، أصدر أمراً بأعدام السائق والعجوز والمرأة
والطفلة مني .

أرهبتي الفكرة وأفزعني هول نتائجها ، فازدادت ضربات قلبي

وتصاعد الدم الى وجهي حاراً فترك أثراً يشبه الصفعة الشديدة ،
فترددت ، ولكي مالبت حتى عزمت على أمر !
كان السائق شاباً لطيفاً ، كنت أعرفه منذ نعومة أظفاره
فقد نشأ في القرية نشأة اليتامى ، افتقد أبويه حينما أخلت قوات
الاحتلال القرية من سكانها .

اما الرجل العجوز ، فقد كانت حياته انموذج نضال.. افتقد
ابنه قرب وهران وكذلك والده في مدينة الجزائر ، فعاش
متنقلاً بين جماعات الثوار ، يربط بينها بالخدمة ويوثق بينها بالتفاني ،
حتى استقر في قرينتنا منذ أمد وكأن الزمن أحاله على التقاعد .
فلما طرحته بالأمس فكرتني على بساط البحث ، نالت اعجابه وتطوع
للقيام بأعباء المهمة .

أما المرأة ، فهي فاقدة الأبوين والزوج كأني امرأة جزائرية
عاشت في حمأة النضال وعرفت طعم الحياة التي لا هناء فيها الا
بالدفاع عن الحياض والذود عن المقدرات . وقد كانت تتمني أبداً
أن تلقى حتفها بعد أن تؤدي خدمة جليلة للوطن .

وأما مني ، وهي تلك الفتاة الصغيرة التي رافقتنا إتماماً لعناصر
التمثيلية التي جعلناها ستاراً لعملية عسكرية ، فهي ابنتي ، عرفتها
منذ نعومة أظفارها أيضاً ، فتعلقت بها وتعلقت بي . كانت أمها
قد لقيت حتفها في الحقل حينما مرت سيارة فرنسية تقل ثلة من
الجنود فسألوها أمراً شنيعاً ، فمنعتهم... منهم بسل ما كان لديها

من غيرة وشرف وإيمان وجدوة نبل وشيعة أخلاق . فبقروا
بطنها وتركوها تحت الشمس التي شهدت ذلك ، وبين أحضان
الرياح التي زارت وكأنها جسد أفسح وبدن ارتجف .

وبعد حين أفقت من غيوبي .. فسمعت من جديد انذارات
الضابط تشق عنان الفضاء . فانفطر قلبي حزناً وامتلأت نفسي
كآبه . ولكنني لم أذعن .. فقد رنت في أذني صيحات ثلاثمائة
مجاهد مقيد بين الصخور بحصار مكين . انهم لا شك متلهفون
الى السلاح كي ينطلقوا من عبودية ذلك الطوق الذي ضربه
الفرنسيون حولهم .

وأمنت النظر في الضباب فتكسرت حجبته وتلاشت سدوده
واذا بي أرى قافلة الأموات تساق الى حتفها . السائق ومن خلفه
الرجل المجوز ثم المرأة ومعها ابنتي منى .. آه مني ليتهم تركوها
.. بل ليتني فديتها بنفسي ، ولكن هذا لن يحل المعضلة ، ان النصر
بحاجة الى أكثر من طفلة .

واتعدت قافلة الأموات عن أنظاري ودوى صوت الضابط
من جديد ، ولكنه لم يفلح في استمالي ، وأخيراً خاطبني السائق
بملاء صوته ورجاني ألا أذعن .. وكذلك فعل الرجل المجوز
والمرأة القميحة الشكل . أما ابنتي منى فقد صاحت « بابا » فبكيت
وقد تلهفت لان أسمع منها مزيداً من الكلام ولكنها لم تعاود النداء
فقد سكوت ثمرها الورد الذي كنت أقبله كل مساء . أجل بكيت

كثيراً بينما كنت أتسلل نحو السيارة .

هناك وجدت حنديا يقوم على حراستها . فأمسكت عن النشيج
وأفلعت عن النحيب ، ثم رميته بحجر وصعدت السيارة وجلست
خلف مقودها . وقبل أن أغادر مكاني أخرجت رأسي من النافذة
فرايت ظلالاً مرصوفة الى جانب الطريق يقابلها ظلال أخرى
تسد البنادق .

وأدركت رأسي الى الأمام ، فوجدت أمامي قطرتين من الدمع
تقتربان مني وكأنهما موج اليم .. ولكن النشيج ذرفها على حين
غرة ، فحسبت نفسي انني بحوت من الفرق .. غرق الجهاد .
غرق النضال ، غرق الباحث عن قارب له فيه ملكية شرعية .

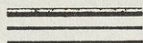
وأخيراً دوت طلقات البنادق في الأرجاء ، فأدركت محرك
السيارة خلال انتشار أريزها ، فلم تنقل الرياح خبر فعلي ،
فشكرتها انها لم تخف ، انها أيضاً تجاهد من أجل الاستقلال .
ولما انطلقت بالسيارة ، اخترقت حازراً خشبياً ثم انحرفت
نحو التلال .. خلال درب ملتوي .

وبعد قليل وقفت بالسيارة ثم أقيت نظرة الى الوراء ، فشاهدت
سحابة كثيفة من الضباب ، تغطي الطريق وكأنها القبر .

اما في أطراف السفوح الصاعدة في شموخ نحو قمم تعانق
السحاب ، وفي ضفاف النهر العابس الهادر ، وفي جنبات الحقول

الباسمة ، فقد رأيت جسداً يتحرك ليأخذ مكانه تحت الشمس .
هناك نزع المجاهدون الجثث ، فأنكشف لهم السلاح ...
فتوازعوه وانتظروا الليل .. فالليل يعمل بجانبهم من أجل
الاستقلال .. كالرياح .

وعند الأفق الذي ابقسم عن أشعة الشمس ، رأيت وجه
ابنتي .. وعبر صغير الرياح ، سمعتها تنادي .. بابا .. بابا .



هکاشت

بين الفينة والفينة ، كان يظهر عبدالمجيد على الناس بفكرة جديدة ، تهرب بعضهم وتضحك البعض الآخر .

كان عبدالمجيد - وهو يبلغ الآن الستين من العمر - من كبار تجار الورق . غير انه منذ سنين خلت ، خبا اسمه في عالم التجارة ، حتى أمسى متجرحه عبارة عن حانوت صغير ، يؤمه تلامذة المدارس صباح مساء ، ليشتروا ما يلزمهم من دفاتر وأقلام ومساطر وما اشبه ذلك .

ويمكن ان يقال، ان عبدالمجيد، هو احد الذين زهدوا بالدنيا وسموا عن عالم الواقع ، فلا غرابة والحالة هذه ان ينحو الى حياة البساطة ، عازفا عن التجارة .. تحاشياً للغش والكذب .

وكان متجرحه الحالي اشبه بمنتهى ، يختلف اليه آباء التلاميذ ويفشاه بعض الشبان الذين كانوا يقضون لديه اوقات .

وقد كانت عظاته مبنية على التنبؤ بانتهاء العالم وزواله . لذلك كانت هذه الفكرة - بحذاتها - كافية لان تستهوي بعض الزبائن وارباب البيوت .

غير ان عبدالمجيد ؛ لم يكتف بزف بشرائه التي تتحدث عن اقتراب النهاية الى الكبار ، بل اخذ يدس تعاليمه بين التلامذة

الصفار . حتى طغت على الحي موجة من التلبد الفكري والقتام
الذهني بحيث خال الجميع ان شيئاً ما سيحدث في هذا الكون.
وبناء على ذلك ، فقد اصاب الاطفال الذين كانوا يتلقون
تعاليمه ، بقلوب وجلة ، مس من الذعر ، فراحوا يشاهدون
احلاماً مرعبة .

وقد هال الآباء ظهور هذه العوارض غير الطبيعية في ابناءهم
فتشاوروا فيما بينهم ، ثم عزموا على ان ينهوا الامر لدى عبد المجيد
كي يفسر لهم هذه الظواهر وكي يكف عن نشر تعاليمه بين
الاحداث .

وذهب وفد لزيارته من كبار الوجهاء ، فخطبته اخدم ،
واسمه جميل :

— نحن نقدم اليك رجاءنا ، ونفوسنا تحترق اسى على ما دهمي
اطفالنا . اننا نهيب بك ان تقلع عن تلك العادات التي تفسرها
بين الناشئة .

فرد عليه عبد المجيد في شدة :

— كيف تريدني ان اقلع عن عادات مهمة ؟ او لم تسمع ما
حدث ايلة امس من هزات ارضية وثوران في جوف الارض ؟ .
ان الساعة آتية لا ريب فيها . .

— ذلك صحيح يا عبد المجيد ، ونحن موقنون بان الساعة آتية
لا ريب فيها ، ولكن لا ينبغي لك ان تهددنا بها في كل آونة ،

فنحن ما زلنا نروم العيش في هدأة وسكينة ، وماذا تظننا نفعل ،
هل ترانا نجحد بنعم الله ، وهل لمست منا الموبة والذائل ؟ .

— هذا حق .. ولكن سواء ا كنتم تجنحون الى الاثم ام
تعرضون عنه ، فان نهاية العالم قد اقتربت والساعة لن تبقي على
الارض فاضلا او مجرما انما ستأخذ الاثنين كأنهما واحد ، وعند
الحساب تفصل بينهما .

— انذا نعرف ذلك يا عبدالحديد ، ولكن لا لزوم لان تعيد
في اذهانتنا تلك الصور على الدوام .

— كيف تقول ذلك ؟ .. هل تريدنا ان ننشر على حين غرة
لا ... لا . اعلوا ايها الناس ان الحياة قد اصابها ما يصيب القلب
من وهن وضعف . فكما ان مريض القلب يتوقع الموت في كل
آونة وأخرى ، وكذلك أمسى الحال بالنسبة للحياة . فانها عرضة
لان تنقضي بين حين وآخر . فما هو رأيك في الموضوع : هل
تريد ان تفاجمنا الساعة والمجرم آخذ بخنق ضحيته ، والسارق
واضع يده على المتاع ، والعاشق ضام زوج صديقه بين ذراعيه ،
والسكير كارع كأس الخمر ، والمقامر يلعب الميسر ؟ لا .. لا ..
ان هذا الحال والله للخبجل .. يجب ان يتفق الجميع على خطة ، كي
نكون على أحسن حال فيما اذا داهمتنا الساعة .

ولم ينبس جميل بمنت شفة ، بل نظر في وجوه اعضاء الوفد
نظرات حسرة وألم .. ثم قال :

— حسناً .. اننا لن نستطيع ان نهديك الصواب .

وحينما رد عليهم عبد المجيد قائلاً : « أنا الضال وأنتم
الراشدون ؟ ! » كان أعضاء الوفد قد غادروا المتجر لا يلوون
على شيء .

ومضت الأيام والاسباع والشهور . دون أن تقوم للساعة
قائمة . وعبد المجيد ما زال يبشر بها وينذر بها ويهدد بها .
وفي ذات يوم ، وقف أمام متجره رجل بدين ، اسمه عبد
السميع ، وقال له :

— ما هذا يا عبد المجيد ؟ . ان ابنتي نوال تقول انك انبأتها
بأن الله سيأكلها .. فهل هذا صحيح .. ؟
فأجاب وهو يلصق غلاقات الدفاتر :
— وهل تصدق ان الله يأكل احداً ؟
— ليس غريباً أن تقول عنه انت ذلك .

— يا للغرابة ! . كيف تهمني بما انا مؤمن به اكثر منك ..
أنني أقول دائماً بأن الله سيجعل النار تأكل الاخضر واليابس
وأن الدمار سيجل في الكون .. وسنرى البحار تطول علواً حتى
تبلغ السحاب وستقف الانهار كأنها العمدة وسترقص كالافاعي ..
اما الجبال فانها ستتكسر ثم تميد .. .

وستصطدم المياه مع النيران ، حتى تظهر منها نار قوية ستندلع
من مكان ما ، وسيصرخ الرعد في الآذان فيصمها ، وسوف

تدوي في أركان المعمورة زجرجة رياح مستقل-ع كل ما هو قائم ،
حتى يصير كل شيء على الارض هامدا ساكنا . وثق انك معرض
الآن الموت .. فما بالك تتعظم الامور وتأخذني بالمعابة ؟ .

ورضخ عبد السميع لتعاليم عبد المجيد ، ووقعت في نفسه موقع
السحر الا انه لم يصدقها في اعماق نفسه . فسأله :

- وماذا سيحل بالاموال .. أقصد اموالي ؟

- اموالك ؟ .. ان الله لن يقبل اي انسان يحمل في جيبه نقدا

- هل يعني ذلك ان سبائك الذهب مرخصة ؟

- الذهب ؟ .. لا انه سيذوب ويغدو كالمياه وسوف يسيل

من مخابئة الحديدية رغم ارادة خازنيه

- اذن ماذا تقترح ان اصنع ؟ هل ابدل العملة الوطنية

بجنهات ! .

- الجنهات ؟ . انها ستحترق كالورق .

- ما رأيك بالدولار ؟

وهنا دفع عبد المجيد الدفاتر بعيداً وقال :

- ما هذا ايها التاجر ، انك تساوّم على اشياء بغیضة لدي الله

وبكى الرجل البدين ولطم خديه قائلاً .

- كيف تقول ان سبائك الذهب غير مرخصة انك تكذب

- تقول اني اكذب .. ياللقاحة ! ..

- اجل اقول انك تكذب ! فالتحالف لا يأمر بان افترق عن
ثروتي وهو الذي هداني الي جمعها ، وشجعني على المحافظة عليها .
الا تعلم انني قضيت زهرة عمري في تحصيلها .. لا .. لا يا بني
سأبدلها بدولارات .. فالدولار اثبت قيمة من اي نقد ..

ثم غرب وهو يردد بانه سيحول ثروته الى دولارات .

وفي ذلك اليوم ، علت هامة السماء غيمة كثيفة على شكل
مخالب ، وهبت رياح عاتية اخذت تزار وهي تمضي فوق الابنية
وحلال اسلاك الهاتف ، وانتشر هزيم الرعد ثم هطلت قطرات
ساخنة من المطر .. عندئذ اعتقد الجميع بانها الساعة .

وصاح عبدالمجيد بالناس « ها هي الساعة آتية لا ريب فيها ،
فلم تعد تنفعكم توبة ايها الناس . لم تعد تنفعكم توبة .. »

وندت صرخات من النساء ، ثم الاطفال وأخذ الشيوخ
يبتهلون الى الله ان يكشف عنهم هذه الغمة . وترك الشبان لهوهم
وراحوا يقتبسون الادعية والصلوات عن الشيوخ ، وانصرفت
النساء الى جمع اطفالهن فوق صدورهن . وكف السارقون عن
السرقه ، والقتلة عن القتل ، والكاذبون عن الكذب . حتى ظن
الجميع بان عبدالمجيد قد انتصر .

غير ان السحب ما لبثت حتى تقشعت بعد ساعات من الاهوال
وظهرت الشمس تلالاً ، وسكن الهواء .. عندئذ قطع الشيوخ
صلواتهم مؤجلين مواصلتها الى اشعار آخر ، وكفت النساء عن

العويل ورحن يتزين كي يقمن بنزهتهن المعتادة في حديقة الحي ،
وكذلك ارتد الشبان الى لهوهم وغزلهم ، بعد ان التفوا فترة من
الزمن حول فوزي ، استاذ الطبيعيات في احدى الثانويات .

ورغم ان فوزي ، استاذ الطبيعيات ، قد انضم اليهم اثناء
كربتهم والتجأ في ملاجئهم ، واعتصم بحبل ابتهالاتهم وتوتبتهم ،
فانه سرعان ما صرح بان تلك الظاهرة كانت عادية لا تسترعي
الانتباه . وكان قوله هذا أشد تأثيراً في نفوسهم من أقوال
عبدالمجيد الذي قضى السنوات في الالهابة بهم .

وفي المساء ، أوى عبدالمجيد الى متجره ، ميثوس القلب ،
محزون النفس وأخذ يضرع الى الله ان يعمل عملاً بسيطاً يبرهن
فيه على صدق نبوءاته .

وبينما هو كذلك ، اذ مر به عبدالسميع ، وهو يحمل محفظة
مليئة فقال له ..

- انظر يا عبدالمجيد ، لقد حولت ثروتي الى دولارات ، وفي
الغد سأودعها احد المصارف .

وضحك عبدالمجيد ثم قال .

- او تظن ان الساعة ستقوم في مكان وتجم عن آخر ؟
وضحك عبدالسميع ، ثم اقترب من عبدالمجيد ، بعد ان وضع
محفظة النقود فوق أكداش الورق .

هل تعتقد بانني اؤمن بساعتك ؟

- وماذا تقصد بساعتي ؟

- أقصد ان الساعة التي تعنيها أنت غير الساعة التي أعنيها
أنا ، ان الساعة في المفهوم الحديث هي الحرب الهيدروجينية التي
ستشتعل ، او لم تسمع الاخبار ؟

- كلام اسمع الاخبار

- ان الحرب الكونية على الابواب

- اذن فهذه هي الساعة ...

واشعل عبد السميع سيكارة ؛ ثم القى بعود الثقاب الذي لم
ينطفئ ، على اكדاس الورق والدفاتر ، فاشتعلت بينما كان يقول :
- ان قولك هراء .. فهذه حرب لن ينالنا منها اذى .. اننا

حياديون ... هل نسيت ؟!

وانتفض عبد المجيد من مكانه مذعوراً .. ينادي مستغيثاً ،
ولكن صوته لم يطفئ السنة النيران ، تلك التي أتت على جميع
انحاء المتجر .

وهرب عبد السميع مذعوراً .. بينما راح عبد المجيد ، بوسائل
غير مجدية ، يحاول اطفاء النار ، حتى احترقت يداه وثيابه ،
فخرج من المتجر لينقذ نفسه .

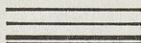
وكانت جموع غفيرة قد اجتمعت امام المتجر .. جاءوا من
كل حذب وصوب يتنادون ، وكانت صيحات من يمد تنادي ..
« كارثة .. كارثة في متجر عبد المجيد »

ووقف عبد المجيد خارج المتجر ، ينظر الى الحرائق التي
عمت الحانوت مذهولاً مدهوشاً . وكان الناس حوله ينظرون الى
حاله بيمين الأسى .

أما عبد السميع ، فقد كان يلطم وجهه تارة ، ويتمرغ على
الارض تارة أخرى ، بعد ان ذهبت ثروته في لمح البصر طعمة
لتلك النيران الجامحة .

واخيراً وقف عبد المجيد يقول ..

- انظروا كيف حلت الكارثة ! كذلك ستحل الساعة !
ألم أقل لكم انكم ستشاهدون النيران تأكل الأخضر واليابس فيها
هي ذي أمامكم تشبع بطنها بالدفاتر والدولارات ، تلك البطن التي
لا يشبعها شيء .. وانظروا كذلك كيف ان مياه رجال الاطفاء
تعلو وكأنها الانهار .. واسمعوها هزيم الرعد واصوات الثوران ،
انهما ليسا لا اصوات الرفوف تشكسر وتهبط مع ما عليها من دفاتر
.. او اه .. حمداً ياربى ، انك نقذت مطلبي ، فانا الآن أشاهد يوم
البعث مصغراً ... وهكذا سيكون شاءوا أم أبوا ..



السياسة

ثلاثة أشياء كانت تبدو كالأشباح ، أسلاك شائكة وحارس
وسارية علم . أما البرد القارس فلم يكن يبدو في شكل . وكانت
الرياح تمصف بالخيام المضروبة على بعد من مكان حراستي .

كان الليل قد تعب من منازلة الفسق ، فأخذت أغلاله تتحطم
وقيوده تتكسر تحت وطأة طلائع الفجر الجامحة . وكان الثلج
قد آثر الركود في غيومه البيضاء التي ترعى في السماء ، منذ
الهزيع الأخير ، فلم يعد يتهاطل على التل الصغير الذي ضربنا
فيه خيامنا .

رمت أن أسأل زميلي عصاماً بعضاً من أسئلة ، فقد سئمت
الوحدة ، ولكنتي لم أستطع ، فقد ابتعد عني منذ هنيئة . . ان
أقدامه تكسر الثلج فتحدث صريراً ناعماً يشبه المس .

ولاحث في الأفق موجة من الضباب ، خلفها ثلة من جندنا
تدك مخفراً للأعداء ، وطلائع النهار من خلفها تمدّها بمعين القوة
الذي لا ينضب .

تذكرت في تلك اللحظة ، غشية أمي وحزنها على فرقي ،
لحظة انخرطت في صفوف المقاومة الشعبية ، ولقد قضت بعضاً
من أليائها تبكي وتندبني ، محاولة أن تثني عني وعزمي وتردني عن
قراري ، ولكنها فشلت .

فراحت تبث للجيران آلامها وتشكو للزائرات شجوها
وأساها . فكانت تقول لهم اني ما زلت صغيراً ، ضعيف البنية
عاجزاً عن إتيان الاعمال المضنية والمهات المرهقة . ثم ان البندقية
ثقيلة لا يتمكن منها إلا عريضو الاكتاف وأقوياء المناكب .

وتلاشت أشباح الذكرى في مخيلتي ، ، فسمعت وقع أقدام
عصام .. ياله من مسكين . إنه مريض لقد بشني ألمه منذ الغروب
ومع ذلك فانه يحمل نفسه على تأدية الواجب .

ناداني : « احمد هل تسمعني ؟ لقد بانت مياه طبريا ، ياله من
صبح جميل » وبدأ الثلج يتهاطل ، فبرحت مكاني واقتربت منه ثم
قلت : « عصام كيف حالك ؟ اصغ إلي لقد تذكرت أمي ، يا الله ما
أشد حزنها . لقد زارنا ذات مرة وفد من وجهاء الحي وطلبوا
من والدتي ألا تقف حائلاً بيني وبين تطوعي في منظمات المقاومة
الشعبية . ولكن أتعلم ما ذا صنعت بي ليلئذ ؟ لقد حجرتني في
دولاب الملابس . ولكن ذلك لم يحل دون تمردي على حبائل
العطف التي شدتني بها الى صدرها ، فقد هربت في الليلة التالية
واشتركت مع المقاومين في حراسة خزانات المياه ، لقد كان
تصرف والدتي تعدياً على الحقوق العامة ، فناقشها أهالي الحي بذلك
وأدخلوا في يقينها ان العطف الأبوي ليس هو هذا الابداع
والتفنن في اظهار الاستماتة في الحفاظ على الابن من النوائب والغير
كما ان الحرص الكلي لا يدفع عنه الاوصاب والشرور ، وانما

هناك حق عام في كل مرة يهدد فيها أمن الوطن . وأخيراً . .
رضخت، ولكنها أخذت تصحبنى في مهاتي ، ويجلس بعيداً عني .
وفي ذات ليلة عادت الى البيت فوجدته خاوياً على عروشه . فجن
جنونها وضاع صوابها وراحت تكيل التهم للناس والعتاب للجيران
لأنهم في زعمها كانوا سبباً في سرقة بيتنا ، وقد اتهمتهم وفتتد
بانهم لا شاغل لهم الا دفع سواهم للتطوع والقتال ، وما أشبه ذلك ،
أما هم فانهم يوصدون الابواب دون أولادهم ساعة تنزل النازلة
وتحل الكارثة ، ولكن ذلك لم يرد لنا أثاث البيت . وأذكر أن
جارنا عبدالعزيز قال لأخي : « ان الذي سلب أثاث منزلك يا أم
أحمد هو بالقياس للوطن ، ذلك الطامع الغادر الذي يدور في
خلده أن يدخل الوطن من أبوابه الواسعة ، لحظة ينام حراسه
ويتشاغل ساكنوه . انه يود أن يسرق ما سرق السارق من
منزلك ، واذا كان أثاث بيتك مديعاً وطنافس وطاولات وأرائك
وقدوراً واطباقاً، فإن انتاج الوطن هو هذا الانتاج الخصب ،
وهو هذه العقائد المثالية وهو تلك الاجيال الكريمة التي ولدت
في هذا العصر من أب أصيل هو الوطن وأم عريقة هي العقيدة » .

هذا ما قاله جارنا عبدالعزيز . عندئذ أقفلت أمي عن مرافقي
في كل مرة أذهب فيها لتأدية واجبي ، ولشد ما تأثرت من بادرة
جارنا ، فلقد وضع لي قوله بالسداد ، وبان لي شرحه بالرشاد .
ففكرت ملياً فيما تصنع النفوس اذا ما فكرت ، وما تؤول الاحوال

اذا ما انتظمت ، فانخرطت في صفوف الجيش العامل كي أكون
حارساً لوطني بل ولمنزلي .

ولما أمسكت عن الحديث . كان النور قد طغى على البحيرة .
فانفجر عصام ضاحكاً ثم قال ، وعيناه ساهمتان في طبريا .
« انظر انهم توافدوا من كل قطر وحملوا انفسهم من كل حذب
وصوب ، حتى ازدحم بهم المكان فابتغوا الوسعة واراوا التمدد ،
ولكن لم يخطر ببالهم ان السياج حولهم سيصمد وان القيود
لاطاعهم مستقيدهم عن التنفس .. اكتب لوالدتك يا احمد تقلاً
عن لساني ، وقل لها انه في حال جسامه الحق الضائع يجب ان
يصغر اعتبار قيمة الضحايا ، فالارض التي تذهب هباء هي من
القيمة بحيث يترتب على الناس ألا يعدوا الابناء تعداداً حين
يقدمونهم قرايين لا نتراع الحق المسلوب .

ولما أمسك عن الحديث سأته « أشعر بالبرد يا عصام ؟ » .
فأجاب : « قليلاً » . فأردفت : « اذن اليك معطفي ، خذ
أرجوك .. » . فأجاب وفكاه يصطكان من البرد : « اذن فسيقضى
عليك . كلا .. كلا .. » .

ولما هممت بدفعه اليه ، سمعنا صوت رئيس الحرس ينهنا ،
ففرقتنا لهجة صوته العاتية ، فابتعد عني ووقف غير بعيد ، بحيث
غدا كالظل .. الظل الممتد عن شخص غير موجود .
بدأ الفجر يقوض دعائم الليل . وكان في الأفق بقايا ضباب

تفشعت عن تلاميذ البحيرة المغسوبة . أما أذبال الليل فقد أخذت
تنحسر عن المعسكر هاربة من ضوء الخنود .

نظرت حولي ، وإذا بعصام متجمد متمسك ، دنوت منه فاعر
الفم مذهولاً ، وناديته فلم يجب ، وهزته فلم يتحرك ، كان ثابتاً
كالصخرة النائمة من جبل ، وجهه عابس مشحون بالآلم الذي مات
مفعوله ، وبالبرد الذي خبت برودته حتى انفقته . وكانت عيناه
غائرتين ، وأهدابها مليئة بهباب الثلج الافرأف ، وأما أنظار حدقتيه
فقد كانت منصبة على شواطئ طبريا ، وقدماء مدفونتين في الثلج
وبندقته قد غدت كفصن شجرة تكشف فوقه ثلج الليل .

ثلاثة أشياء كانت تبدو كالاشباح . أسلاك شائكة وحارس
وسارية علم . لما واريناه اأثرى كقبت أقول .

« نقلاً عن لسانه ، ذلك الوطني المأهول الذي هو أحياناً
أنا وأحياناً شخص آخر ، نقلاً عن لسانه أقول . إنه في حال
جسامة الحق الضائع يجب أن يصغر اعتبار قيمة الضحايا ، فالارض
التي تذهب هباء هي من القيمة بحيث يترتب على جميع الناس أن لا
يعدوا الانباء تعداداً حين يقدمونهم قرايين لانتزاع الحق المسلوب .
ولما قال لي ذلك يا أمنا سأألفه . « أشعر بالبرد يا عصام ؟ » فأجاب
« قليلاً » . فحاولت أن أدفع اليه معطفي ولكنه قال « إذن فسيفضي
عليك . أي أن المعضلة ظلت بلا حل » . وبعد ذلك بقليل ، طلع
الفجر .. وداعاً . ان عصام هو أنا بل هو كل فرد شجاع » .

انای الکسو

أرسل الراعي أنعام نايه في أفق الحقل ، فرددتها ضفاف
النهر ، وصدتها أطراف السفوح المخضرة ؛ فأقمت الأُغنام صاغية
خاشعة ، وتسلى الكلب منحدرأ ، ثم جلس مشنف الأذنين .
وكانت شمس الأصيل تترقق في الأفق وكأنها دمة ،
والأعشاب الخضراء تتلاثم وكأنها الفتية المبكرة الشباب .

وأما النهر ، فكان يجري في انثاد ، وكأنه أب جليل
تقدمت به السن . وكان في الحقل المجاور حمار يرعى الكلاء ،
ما عثم حتى انجذب نحو الناي انجذاباً وثيداً . فمر بالنهر شارباً ،
ثم قصد حانة ذلك الراعي .. تلك الحانة التي كان خمرها نسيم
عليل ، ومجالسها صخور مريجة ، وموسيقاها أنعام ناي تنفطر
لها القلوب ؛ وأما جلساؤها فخراف ونعاج .

لم يقصد الراعي أن يثير في مخيلة حيواناته أنواعاً من المشاعر ،
أو أن يرسم في أذهانها أنماطاً من الميول الراقية التي تسكن في
حنايا المخلوقات ، كما فعل في عصر ما كل من بيتوفن وشوبان
وفاغنر ومندلسون وغيرهم . إنما كان يعزف اغنيات قروية ، ثم
ألحاناً شائمة ، حتى اذا ما نصب معينها ، نفخ بما يمليه عليه هواه

وعزف ما يأخذ عليه لبه . والحمار ، كما يبدو ، ثمل براح الانتقام
فأخذ يعير انتباهه الى الحالات التي تتغير فيها الالسان ، حتى
اسمى بجمل ما سمعه بليحن الذكري .

وفي بحر الذكري استغرق يحلل ما في جنباته من لواجع ،
وما في صدره من آلام واكدار .

وذكره ، هي ذكرى الصناديق والاثقال والطرود والعصا
والعود . . ذكرى صاحبه الذي يحقد عليه كل الحقد لسبب
لا يعرفه .

وأخيراً تساءل عن السعادة والبهجة ، واشتاق لأن يعرف
كما يعزف هذا الراعي ، وتمنى أن ينام مثله ينام صاحبه ، وأن
يرفل في السعادة كما يرفل الانسان ، وأن يأكل المتنوعات من
الاطعمة كما تأكل باقي المخلوقات . ولكنه لم يجد لمعضلته حلاً . الى
أن تقلبت الالسان في الناي تترى . عندئذ أحس بحزاة القلب ،
لأنه لا يعرف الحب ولا العشق الرقيق ، كما أنه يجهل ما في كنه
أحاديث الناس من معنى حين يتكلمون عن ثقافة الجاحظ وحكمة
المعري ورقة البحري وإرادة المعري وبراعة همنغواي وخيال
داتي وفكاهات فولتر وحجة روسو وشاعرية غوته وكبرياء
بايرون .

انه لا يعرف هؤلاء وبماذا يتصفون ، ولم يكتر الحديث عنهم
فان كانوا كما يقول الناس عنهم ، ينظمون علاقات البشر ،

فيغالبون الانحرافات حتى تدين ، ويقومون دفعة السفينة حتى تستقيم ، ويدفعون بالركب البشري حتى يسير ، ويشذبون العلاقات حتى تليق ، ويهدبون النفوس حتى تلين ، فان شيئاً من هذا لا يوجد في بني جنسه .

عندئذ قال في ذاته : «لهذا لا أستطيع أن أعزف في الناي ، لأعبر عن مشاعري، كما أنني لا أستطيع أن أقول كما قال الكتاب والفلاسفة .. فأين ذلك الناي الذي به يمكن أن أنفخ ؟ .. وأين تلك المكتبات العامة التي آوت حميراً للمطالعة ، بل أين الكتب التي كتب فيها حكماء الحمير . إن شيئاً من هذا لم يحدث في تاريخ الخليقة .. أوأوه ما أفدح الأمر !! إن التعاسة حتمية ، وهي لا شك نتيجة طبيعية لاختلاف صفات الأنواع وتباين أشكال أعضائها . وهي ليست عفوية كما يزعمون ، بل ذات مصدر دفاق ومعين لا ينفذ ؛ وحكمة ذلك ، تنظيم كوني ، واتساق بشري وترتيب حيوي . لهذا فان الناي الذي يمكن أن أنفخ فيه مكسور . . .

بعد لحظة ، حضر صاحبه ، فأخذ يعنف الراعي ويوبخه متهماً إياه باستجذاب حماره ، بغية الافادة منه في حمل الاثقال وقضاء الحاجات . فلما ان حدث ذلك ، اغتاظ الحمار من مسلك صاحبه وعدّ تأنيبه للراعي ، تجاوزا على حدود الادب ، وتطاولاً على حدود اللياقة . فقرر أن يصنع شيئاً يحسد من كبرياء صاحبه

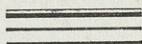
وانقصة نفسه ، خصوصاً بعد ان أذل الراعي البريء وانتهك
حرمة نفسه .. فالراعي في نظر الحمار عنصر تقى من الانسان .
كالمادة الخام ، التي تحول بالرياء الى أشياء وأشياء ، وحينما ابتداء
الصراع ، اضطر الراعي للدفاع عن نفسه ، فضرب الرجل بالناي
فانكسر ولم يعد يعزف .

بكى الحمار دون ان يزرف الدموع ، ونهض من مكانه يائساً
حزيناً على الناي الذي انكسر .. ففكر ملياً في ذاته ثم قال :

إن ناينا نحن الحمير مكسور باذن من الطبيعة ، . أما انتم
أيها الناس فلماذا تكسرون نايمكم بأيديكم ؟ كيف ستغنون . ؟ ..
كيف ستمرحون ؟ كيف ستعيشون بدون غناء . ؟ . أو اه لو لم
اكن أبكم .. اشرحت لكم آلاف النقائص . لا . لا ، يجب أن
أتولى ذلك الأمر بذاتي .. يجب أن أقضي عليكم يا صاحبي لأنك
تثير الفزع والفوضى .. سترى مبلغ ذكائي إذا ما أمسكت بزمام
الأمور . سأجعلك حماري . وأكون صاحبك . وسأتحدث كما
تحدثون .. سأحدث عن جاحظ في قومنا وبحتري وروسو
وهمنغواي وسفكر لويس في جنسنا . بعد عصر من الزمن ،
سنفتتح مكتبات عامة ، ونزوج كتبنا ، ونعزم فلسفتنا ، حلاً
للنزاع بينكم ..

وامتوقفه الشجار بين صاحبه والراعي ، عن المناقشة . ثم

جعل يفكر في وسيلة ينتقم بها للراعي ، فاستدار نحو الخلف ،
ورفس برجليه ، فأصاب الراعي في وجهه بدل صاحبه . فانطرح
الراعي جانب غناته الوديعسة معشياً عليه ، عندئذ ربت صاحب
الحمار على ظهره ثم ركبه ، ورحل .



الحقیقت و اسرار

أمسك المخرج أحمد يد جميلة ، ثم قربها من صدره قائلاً :
— هكذا يجب أن يكون انفعالك ، يجب أن تجذبني يد
عشيقك جذباً قوياً ثم تقولي له .. يا حبيبي سواء أ كنت غائباً أم
حاضراً ، فإنك دوماً لا تبرح مخيلتي .

ولما أمسك عن الكلام ، أملت طرفه في وجهها ثم أردف :
— عليك أن تظهر لي كل مظاهر الحب ، كي تستحوذني
الاعجاب .

شعرت جميلة بأن المخرج أحمد لا يروم تلقينها حركات التمثيل
بنية سليمة . فأخذت تتوجس منه ، فلما أن أحس بأنها شعرت
بمحاولاته سألها :

— مالك ترتابين مني ؟

فأجابته بصوت مخنوق :

— يخال لي أنك تريد افتراسي .

لم ينبس أحمد ببنت شفة ، بل ابتعد عنها ، ثم خاطبها قائلاً :

— هذا صحيح .. ولكن ثقي أنني أحبك .

ذهلت جميلة ذهولاً شديداً حينما سمعت كلمة « أحبك » ،

فاستدارت نحوه ثم قالت !

- ماذا تقول ؟ .
- أقول أنني أحبك .
- أقول أنك تحبني .. هيه .
- أتضحكين ؟ .
- بل أسخر .
- ومن أي شيء تسخرين ؟ .
- أسخر من هذا الحب .
- وهل في الحب سخرية .
- أجل . أو لم تحب الممثلة سعاد قبلي ، ألا تتذكر كيف هربت من جحيمك ؛ إنك قلت لها ذات الكلمة التي قلتها لي :
- ولكنني أحبيتك أكثر منها .
- هذا هراء .. ثم ما هي نهاية الحب ؟ .
- وهل تعتقدين أن للحب نهاية ؟ .
- لا تتفلسف أرجوك ، ان كنت تنوي مني الزواج ، فأنا متزوجة كما تعلم ، وان زوجي خارج هذه الحجرة ينتظرنني ، ولي أولاد صغار .
- هذا صحيح ، ولكن ما علاقة الحب بالزواج ؟ .
- إذن ، بأية علاقة يتعلق الحب ؟
- لا أعرف ماذا تقصدين . !
- أقصد ، هل الحب هو هذه السرقة التي تسرقها من

خلف رباط الزواج . .

أنا أعرف أنكم معشر المخرجين ، تريدون أن تكون المحلات
لكم ، تفعلون بهن ما تشاؤون ، بل تريدون أن يدعن لسحر
مواهبكم ، جميع فتيات المجتمع . من أجل هذا ينحط الفن .

— ما هذا . ما هذا ؟ . إنك تخرفين ، لقد أقسمت لك
بشر في أتني أحبك .

— وأي شرف تقصد . . لو أنك تعرف للشرف معنى ، لحفظت
عفتي .

— أتظنين بشرفي أيتها المنحطة ؟ ..

دوت هذه الكلمات في أذني جميلة دويًا هائلًا ، فقالت بصوت
يخنقه النسيج :

— أصبحت الآن منحطة ، ومنذ حين كنت عشيقتك .
— ذلك لأنك لا تؤمنين بالحب .

سكنت جميلة عن الجواب ، فاقترب منها أحمد ، وطوقها بين
ذراعيه ، ثم طبع قبلة حارة على شفيتها ، دون أن يلقي منها أية
مقاومة ، كما كانت تفعل في الماضي . فمجب من شأنها . ولكنه
ما لبث حتى راح يدفع عنها ذلك التفكير الذي غرقت في لجته
بعد أن سمحت له بتقييمها ، فقال :

— ستكون هذه القبلة ، كما تعلمين ، نهاية الفصل الأول ،
إنها ولا شك ستمتزع إعجاب النظارة .

ظلت جميلة واجمة مذهولة ، فسألها المخرج .

— ماذا ألم بك يا حبيبي ؟ .

فأجابت ، وطردها ساهم في الأرض .

— لا شيء .

— إذن ، بأي شيء تفكرين ؟ .

— أفكر بالانتصار الذي أحرزته .

— هذا لا يستحق مثل هذا الاغراق في التفكير ، فأنت

إنما أفصحت عن قلبك الواسع ، وعاطفتك الجياشة باستسلامك

لي . ان حبنا ، في الواقع ، تولد في صالح الفن .

— كلا أيها المخرج الموقر !! . أرجو ألا يدور في خلدك ،

أنني أذعنت إليك بقصد اعتلاء شأن الفن . فالفن ليس

هو تلك الستارة التي تسدل على المآسى والفضائح ، إنما كنت ،

وأنا بين ذراعيك أتصور رغيف الخبز الذي ستحرمني إياه في

حال صدك .

فرد المخرج في شيء من الحرج :

— هذا شيء يؤسف له ، ولكن لا خير في أن تزعمي ذلك .

فمهما فندت الأمر ، فأنا أحبك .

قالت جميلة في ذاتها : « أنت كاذب ، ثم أطرقت رأسها ، بعد

أن شعرت ، بوطأة اكليل الذل يثقله .

إنشاء ذلك ، ناولها المخرج سكيناً ، ثم قال :

— لنقم بتجربة الفصل الأخير .

.. عشيقك خالك ، وأنت حاقدة عليه . انه الآن واقف قبالة صورة معلقة على الجدار ، هيا .
وأمسك عن الكلام ، ثم وقف قبالة صورة معلقة الى جانب باب الحجر ، وقال مخاطباً جميلة . !

— أقول . وبينما هو لاه بمنظر صورة معلقة ، تنقضين عليه بالمدينة . هيا . هيا .

وانقضت جميلة تطعن ظهر الخرج بشراسة . ولكن المدينة - وهي مصنوعة من المطاط - اعوجت ، ونجا العاشق الخائن من العقاب . ثم استدار نحوها يقول :

— أنت تعلمين ، أنني جعلت الموضوع اجتماعياً ، يتعلق بالأخلاق ونظام المجتمع ؛ فالناس سيفيدون منه فائدة لاتضارعها حكم الحكماء ، او أفكار الفلاسفة ، ان غاية الفنان هي تقويم المجتمع ، وتلقيته مبادي الأخلاق، والتربية المثالية . مقامه ك مقام السياسي ، فهذا يحكم الرعية ، وذاك يحكم الالهواء .

كانت جميلة تصغي الى حديث الخرج ، في شيء من المضض . فهو يحدثها عن العفة والشهامة والكرامة ، ثم يحيد بنفسه عن احترام تلك القيم .

كانت صالة المسرح تنص بالنظارة . وكانت أنغام الموسيقى

تنتشر في انحاء الصالة إيداناً بفتتاح الستار . أما المخرج أحمد ، فقد وقف وقتئذ خلف الكواليس يهيم نفسه للظهور . ومن خلفه جميلة مزعمة أن تقتفي أثره .

ولما ان ارتفع الستار ، ثم انتهى الفصل الاول بقبلة حارة ، طبعها المخرج أحمد على شفتي جميلة ، صفق الناس اعجاباً وافتخاراً برقي الفن .

ولما أن كان الفصل الاخير . وقف أحمد قبالة صورة معلقة على الجدار ؛ أثناء ذلك انقضت جميلة بالسكين ، لتقتل عشيقها الذي خانها . غير ان السكين ، في هذه المرة ، لم تعوج . وانبعثت من أفواه المتفرجين ، صيحات مدوية ، وتعالات الاصوات . « مجرمة .. قاتلة .. »

وساد الناس هرج ومرج . وهب بعض الممثلين فأمسكوا بالممثلة ، بينما راح المخرج يصرخ متألماً . عندئذ نادى جميلة بملء صوتها :

- دعوني . دعوني ، لقد قدمت للناس الثمرة التي يريدونها وسرعان ما اختفت الأصوات والجلبة ، وراح الجميع يصيحون السمع الى جميلة وهي تقول :

- لقد كان المخرج يعمل على أن يقدم اليكم حكمة تقتدون بها ، ولكنه ويا للأسف ، كان لا يؤمن بتلك الحكمة . ان التمثيلية جديرة بأن تنتهي كما أنهيتها . وهذه هي الحقيقة ، فلو أنني

طعنت عشيقتي بسكين من مطاط ، لذهبتن انتم الى مخادعتكم دون
ان يبلغ الموضوع الاجتماعي من نفوسكم مبلغاً عميقاً . أما الآن
فان الموضوع جدير بأن يؤثر في نفوسكم الاثر الصحيح ، لانكم
ستمعلمون بأنه من الجائز أن تقوم أية معشوقة بطعن عشيقها
بسكين معدني . عندئذ ستلقنوا أنفسكم نتيجة الخيانة . وبذلك
تشعرون بالحقيقة المرة التي تكرهونها إذا ما مست ذات أنفسكم ،
إن المسرح الذي كنتم تعلقون عنه تعاليم الفضيلة ، إنما كان يخلق
في نفوسكم أصول القوضى ، لأنه كان يشعركم بحوادث قلما تحدث ،
ونائج حتما لا تحدث . وان حدثت فان حدوثها يكون صورياً ،
لأن هذا الحدوث هو التمثيل الذي تعلمون باطنه . من أجل هذا
كان الفن مقصراً في تهذيب القلوب ، والمسرح عاجزاً عن تقويم
النفوس . وبما أنني كنت بطلة هذه الرواية فاني أقدمت على اختتام
الموضوع ، كما تقتضي الحقيقة أن يحتم ، لا كما يقتضي المسرح .
اذ أنني في الحقيقة كنت معشوقة لهذا المخرج الذي يعرف أنني
متزوجة ولي أولاد ..

فسلوه .. سلوه ، كيف يريد أن يثبت فيكم مكارم الأخلاق ،
وهو الذي لا يعرف ما هي الأخلاق .. ان هذه الثلمات تظهر في
مجالات عدة .. في السياسة .. وفي الفن .. وفي الأدب .. وفي
التعليم .. فطالبوا بحقوقكم أيها الناس .. حقوقكم التي يتقادفونها
دون أن يعملوا على تركيزها .. وكل من يقول بأنه صادق في عمله
مخلص في قوله .. قولوا له أنت الماكر ..

فتح المخرج عينيه في المستشفى ، وسأل من حوله عن جميلة
فأجابوه أنها سجيئة . عندئذ قال لهم :

— انها لا تستحق ، لقد علمتني هذه المرأة الشريفة كنه
الحقيقة .. الحقيقة يجب أن ترادف المسرح ، انني أنازل عن
حقي في مقاضاتها .. إنها لا تستحق .. انها لا تستحق » .

ثم استدار نحو الممرضة وسألها :

— هل ستطول إقامتي في هذا المستشفى .

فأجابته وعلى ثغرها ابتسامة :

— بضع أيامٍ أخرى .



الأشجار الفاضلة

اصبح البستان في لجة من الظلام ، منذ بدء الأمسية . حين
نامت الطفلة الصغيرة ، ناعمة البال . وهي لا تدري أن والدها
أطفأ النهار ، وقاوم شروق القمر ، من خلف الربى الخضراء ..
فمنذ أن مالت الشمس نحو المغيب ، شعرت جماعة العصافير
بحلول المأساة ، فرحلت الى الاسوار . وكذلك الفراشات ،
فقد طوت أجنحتها ، وسكنت هناك . . على أكوام من الحجر
الميت ، في انتظار القمر . أما الأشجار والأزهار والجداول
فقد أطرقت ساهمة وجلة .

كانت أرض البستان خالية ؛ لا يسير فيها إلا أوراق من
أشجار الصفصاف المصفرة ، ولا يسمع فيها إلا أنين محرق ،
يهوي من قمم أشجار الحور السامقة . وكانت الجداول ، تهرب
بأكيه من أشباح الشياطين ، التي ظهرت بتأثير حلول الظلام
واحتجاب القمر .

وعند الغسق ، نهضت الفتاة الصغيرة من نومها ، تريد أن
تجري في البستان كشأنها في كل صباح . غير ان الظلام بدا لها
هذه المرة كالحدار ، والغسق الذي أملت برؤيته يتسم عندسياج
البستان ، لم يكن الا ومضة من غسق الأمس ، هرب من
مخيلتها ، صبيحة هذا اليوم .

عندئذ اضطرم الجزع في جنباتها ، واعترتها هزات عنيفة
دوت في أوصالها . فتذكرت أن والدها الذي أخذ يعاملها بقسوة
وعنف ، إنما قصد أن يحرمها من التجوال بين الأشجار .

كانت تلك الفعلة المشؤومة ، حرماناً لحقوقها ، وحداً من
حريتها ، فهي فتاة ناشئة أحبت الأشجار والأزهار ، أكثر من
أيها ، فالأزهار كانت تبعث الراحة في قلبها ، كلما تأملت في
روعة جمالها ودقة صنعها ، أما والدها ، فقد كان يبعث في قلبها
الذعر والفزع ، كلما التقت أنظارها بعينيه . وهي لا تستطيع أن
تذكر مبعث هذه البغضاء الا في شيء من المشقة ، فهي تشعر
بأنها كسبت كراهية أبيها منذ عشر سنوات ، حينما أخذت
تؤثر الزهفة في ضوء القمر .. في غصنة الليل المتعثر في سيولة
النهار الطويل ، تستلهم مبادئ الحياة من طبيعة هذه المخلوقات
الساذجة الطيبة القلب .

كانت الأشجار ، زميلات لها ، وكذلك الزهرات والغرسات
والفراشات ، وحتى النسيمات . كلها كانت بالقياس إليها ، كالجماعات
الساعية الى حياة فضلى .. حياة ملؤها الحرية والكرامة
والسعادة .

أفليست الأزهار ، تستبطن الحياة من زميلاتها - الهواء ؛ أو ليس
الهواء يستعويض عن مدفوعاته ، روائح عبقية يعطر بها الجو ،
وأفكار زكية ملونة ممتلئة من مجتمع تلك الأزهار .

والاشجار الباسقة ، من حور وصفصاف وصنوبر ودلب ،
تلك القديسات الشاخات ، في فضاء الحرية ، السن كالأمهات
اللاتي يحبن ، على الأعشاب والنباتات الصغيرة ، تلك التي تبني
أنفسها في عباب الهواء الزميل . والجداول الطروبة التي تغني
على ايقاع حفيف الشجر ، وزقزقة العصافير ، اليست هي الرحيق
الأزلي لمفهوم الصداقة المستتبّة بين التراب وسكان البستان .

اذن أين تستطيع هذه الفتاة الصغيرة أن تلمس مثل هذا
الاخلاص . انها عهدت في هذه الطبيعة أمأ وأبأ . وقد كانت لغة
النظر أجدى تأثيراً في نفسها ، من لغة والدها الحكيم الذي يحفظ
كل شيء ، ويعرف كل شيء .



نهضت الطفلة الصغيرة من فراشها لتفاوض القمر على العودة ،
فلما أن فتحت باب الغرفة ، واجهتها جحافل الظلام .

كان كل شيء غائباً . فليس هناك حقيقة ، انما هناك ظلم
وجور ، يرتعان في أنحاء البستان .

ونادت الطفلة القمر أن يعود ، ولكنه أبى .. فكتبت له على
متن نسمة من ريح تقول :

« مصباح الحرية ينطفأ عادة بالقرب من الاغلال ، فها انتذا
متربع في كبد السماء ، دون أن أراك ، والحرية أبداً موجودة ،

انما بعيدة عن متناول الفهم . . .

كانت جفافل السحب ، تتلاحق في السماء ، وهي تزار ثم تمضي .. كأنها قطعات وحشود من جيوش عسكرت في الفضاء ، لتحارب فسحةه ، ولتشوه معناه الذي يوسم النفوس ويطبعها بطابع الحرية والايان .

وكان الهواء الذي ألف زيارة الأزهار ، قد بدأ يعوي غاضباً ، لحرمانه من روائح حبيباته الزكية التي تحولت الى رائحة دم مهدور .

اما الجدول ، فقد بدلت من لهجتها . فلم تعد تشبه في شيء أغنياتها الشجية القديمة . انما أمست صدى أصوات سلاسل الحديد ، وانعكاساً لفحيح الأغلال التي تجرها المياه المقيدة ، وهي ذاهبة الى العدم .

أما الأشجار الكبيرة ، فقد انقلب صوتها الرشيد الرصين الى صيحات ألم ، وصرخات استغاثة .

أحست الفتاة ، التي عاشت في هذا البستان أكثر من عشر سنوات بما يدور في انحاءها . فأعلنت غضبها وتبرمها . وأخذت تتجول بين مساكب الورود المخملية ، تتلسمها . وبين النباتات المورقة تقبلها . وحول جذوع أشجار الصنوبر والصفصاف والكرز تطوقها .

عندئذ قالت الأشجار الفاضلة للفتاة : « اننا نطلب الضياء

فالحرية خبزنا .. هيا كوني وسيطة بيننا وبين والدك .. » .

ذهبت الفتاة الى أبيها ، لترغمه على تمزيق الأحكام التي أصدرها بحق القمر . ولكن الظلام كان كالجدار .. فلما نادته بصوتها المرتعش ، ألقته سجيناً في قفص بناء بساعديه دون ان يستطيع السكن خارجه .

فلما ان عجزت عن اتقاذه ، عادت محزونة النفس . ولكن وردة حمراء قانية همست في أذنها : « أيتها المخلصة : لماذا لا تتحولين الى وردة مثلي فتقاطعين بذلك والدك الجحود » . وخطبتها أخرى : « أنت لي خير آنية ، فهيا الي » .

وسمعت صوت الجدول : « تعالي أيتها الحبيبة .. إنني كنت أحبك كثيراً ، ألا تذكرين كيف كنت تخوضين بساقيك في مائي .. فلا أعدر بك .. » .

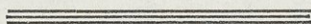
وأخيراً سمعت الأشجار الفاضلة تقول .. « لقد قررنا أن نجملك من جنسنا .. فأنت تحبين الحرية .. ولن تجديها إلا في الأرض ، تمتصينها من التراب .. » .

عندئذ اقتربت نحو الجدول . كان خريره مؤثراً ومحزناً . فأودعت في مائه جسدها الصغير ، واستسلمت لموجاته الباكية .

أخذت تتخيل انبثاق نور القمر ، بل أخذت تتوقع ان ترى ضيائه ، ولكن الظلام لم يفسق عن ومضة ضياء ، عندئذ

أخذت تشعر ، والموجات تغمر أنفها الصغير ، وثغرها الجميل ،
أنها أمسّت قطعة منه ، فأيقنت قبل أن تموت . أن الظلام يصنع
بلونه الحالك كل شيء تخذله الظروف في نشدان الحرية .

شاهدت الشمس في اليوم الثاني ، فتاة ملقاة على ضفة الجدول .
شعرها المبلل يغطي وجهها . . وثوبها الزاهي ملوث بالوحل . .
وحذاؤها الصغير ، معلق بأغصان مشبوكة على الضفة .
ولما أن تقدم أبوها وجماعة من رفاقه نحو النهر ، يبحثون
عنها ، تحولت الى غصن شجرة مكسور .



الوجيه

وقف ابراهيم أمام مدخل مبنى الشركة، يهيا نفسه وينفض الغبار عن كتفه، استعداداً لمقابلة المدير .

صعد السلم في أناة، وكان وقع أقدامه يوحى بأنه أحد المفتشين الذين جرت عادتهم على اظهار الهيبة والوقار بمشية رصينه تلقي في القلوب الروع والمهابة .

ورغم ان السلم كان يغص بالموظفين الذين كانوا ينهبون الدرج في صعودهم إنهاباً، وايديهم محملة بالأوراق والتقارير والاستمارات، فان ابراهيم ظل يصعد مستأنياً . حتى أن مشيته الهادئة استرعت انتباه أولئك الموظفين، فراحوا يتهامسون فيما بينهم عن حقيقة هذا الشخص الذي انتهى اليهم في ساعة مبكرة من هذا النهار ..

وما هي إلا فترة وجيزة، حتى سرت شائمة بين الموظفين، مفادها أن هذا الزائر ليس الا ذلك الموفد الرسمي الذي أوفده مجلس الادارة، بعد انعقاده في العاصمة، منذ اسبوع، وذلك للتحقيق في قضية الاختلاس التي تناولتها الصحف بالتمديد والتقرير .

ووصل الخبر بهذا المعنى الى المسؤولين في الطابق الرابع

قبل أن يصل ابراهيم اليه ، فطفق وكيل المدير لتوّه يلفت نظر الموظفين ويحثهم على تنظيم أمورهم . ولكن القلق ساوره حينما تذكر أن الخادم الذي يقوم على خدمة الطابق الرابع قد قدم استقالته يوم أمس ، وتعنى لو أنه كان موجوداً على رأس عمله ، كي يقوم على تنظيف أرض البهو ومسح الطاولات وغير ذلك .

ولما وصل ابراهيم آخر الدرج ، وقف في البهو ، ثم بدأ يحيل الطرف في انحنائه ، وكأنه يتفقد النظافة .

وكان وكيل المدير يراقبه من ثقب الباب ، فيبدي اعجابه ببذلاته الجديدة ، وحذاءه النظيف ، وعقدة عنقه الانيقة ، وباقة قميصه المنشأة ، وشاربيه المنسقين ، وسمات وجهه الصارمة التي تدل على سداد في الرأي ، وبعد في النظر ونفاذ في المعرفة ، مما ألقى في قلبه الروح والمهابة .

وبينما هو كذلك . هرع الى الهاتف واتصل بالمدير ، وسأله حلاً للورطة التي وقع فيها . خصوصاً وأن أغلب الموظفين غائبون ، وجل الامور اليومية ما زالت معلقة بلا حل ، والموفد الذي كانوا يتوقعون حضوره بين الفينة والأخرى ، قد قيس له ان يحضر في ساعة مبكرة .

سمع المدير هذه العاصفة من الكلام في شيء من الوجيل والقلق ، ولكنه لم يلبث حتى خفف المصاب عن نفسه ، مخافة أن يضطرب قلبه المريض ، ثم أمر وكيله بأن يستقبل الموفد ريثما

يحضر على جناح السرعة .

وأقبل الوكيل خط الهاتف ، ثم هرول نحو الباب ففتحنا
ثانية أمام الثقب ، لينظر ما حل بالموفد ، وكان الموفد آتئذ
يفحص اللوحات النحاسية المثبتة الى جوانب أبواب الحجرات ،
حاملة أسماء أمين الصندوق ، والمدير .. ووكيل المدير .. وديوان
الاوراق . وكان يشق بأصبعه خطوطاً عبر الغبار المتراكمة عليها ،
ويشبح بوجهه عنها بشمئزاز وقرق . ثم لا يلبث حتى يتنقل بين
زوايا البهو ، فيحك بطرف خذائه بعض الاوحال الجافة ، قاذفاً
أعقاب السيكرات والاوراق الملقاة على بلاط البهو .

فأسف الوكيل مرة ثانية لهذا الابهمال والتفاس ، وأعتقد
أنه من الظروف السيئة التي تحيط بالشركة ، ان يقدم الخادم
استقالته ، اذ ان الظروف اظهرت ضرورته ولزومه بأكثر
من ضرورة المدير بالذات .

واخيراً تحقق لديه بأن هذا الزائر هو بالتأ كيد موفد مجلس
الادارة ، اذ ان من صفات امثال اولئك الموفدين ، التخفي
والتجسس والمفا جأة .

وبعد هنيهة حضر المدير فاخذ الموظفون يرقبون حر كاته
في شيء من الوجل ، فهم يعرفون انه مصاب بمرض القلب ، وان
الهزات العنيفة تؤثر على قلبه ، وتجعله معرضاً للخطر زمناً طويلاً .

وسأل المدير وكيه اسئلة عجلى ، وهو يصعد الدرج :

— اين هو .. ؟ هل استقبلته ؟ ..

— اجل ، إنه في حجرتك يا سيدي ..

— في حجرتي ؟ .. ولكن .. ولكن !!

— ولكن ماذا يا سيدي .. ؟

— ولكن ما شكله ؟ .. هل عرفته ؟ ..

— إنه .. انه يا سيدي يبدو وجيهاً من الوجهاء .

— قلت هل عرفته ؟ ..

— كلا .. كلا .. غير انه ما من احد يشك في انه احد

المفتشين .

— حسناً .. حسناً ، ادع امين الصندوق .

وقاطعه وكيه قائلاً :

— ولكن .. تمهل يا سيدي .. لا تتكلم كثيراً .. فاني المس

فيك التعب .. ترفق بقلبك .

ونهره المدير قائلاً :

— اسكت . ولا تتدخل بشأني ، قلت لك ادع امين الصندوق

ومعاونيه ، واخبرهم ان يهيئوا لوائجهم الحسابية للتحقيق . ثم

مزق العقد الذي عقدناه مع محلات « الاناقة » ، واتصل حالاً

بالمستودع ، ومرة بأن يوقف تسليم البضاعة ، لئلا يكتشف الموفد

الامر الذي اتفقنا عليه سوية ..

وتلجج لسان الوكيل ، ثم قال :

— اكنني ارسلت ليلة الأمس صورة العقد المزيفة الى مجلس
الادارة

وصرخ المدير بملء صوته ..

— ماذا .. وفيم العجلة ؟ . وأين الصورة الحقيقية للعقد ؟ .
— انها على طاولتك .

— على طاواني ؟ انه لا شك الآن قد دون في دفتر ملاحظاته
مضمون العقد .. آه لقد هدمت بيتي ، ألم أقل لك انني مزعج ان
اعرض عن الاتفاق مع محلات «الاناقة» ؟ فأنا اكره الاختلاس
والغش ، الا كيفينا مثلاً ما سيحل بأمين الصندوق ومعاونيه
من مصاب . ان طريق الغش ابداً مكشوفة ، وهي لا تقيد الا
بقدر ما تضر .

وعندما فرغ من كلامه ، كان قد وصل الدرجة الأخيرة
من الدور الرابع ، وعندئذ شعر بدوار في رأسه ، وأحس
باضطراب قلبه . فلما رأى الوكيل ما دهى المدير ، هب لمساعدته
فقد ذراعيه ليدفع به الى أرض البهو ، ولكنه لم يستطع له دفعا ،
فقد كانت قواه خائرة أيضاً ، فزلت قدمه ، وسقط متدحرجاً
على الدرج .

سمع الموظفون والآذنون الضجة والجاهاة ، فهبوا من

مراكزم مهرولين ، فالتقط جماعة منهم وكيل المدير ، وقادت جماعة أخرى المدير الى مستودع الاوراق وهو في حالة اغماء شديد .

وفوق اكداس الاوراق والملفات ، اعتقد المدير في نفسه أنه مختصر ، فلما رآه وكيله في الرmq الأخير ، أمر احدى الموظفين بأحضار أدويته وعقاقيره من درج الطاولة . فبرح اخدم المكان مسرعاً لتنفيذ الأمر .

قال المدير وأنفاسه الالهة تقطع كلماته :

— اكتبوا .. اكتبوا وصيتي .. تناول يا بدر ورقاً وقلماً .
واكتب . ان ثروتي تساوي نصف مليون ، اني .. اني هنا وانا في طريقى الى الحق ، لا يسعني .. لا يسعني الا ان اعترف ، بأن هذه الثروة التي جنيتها ، توخز ضميري ، فقد كنت أتفق مع وكيلى على رفع الاسعار حينما نبيع البضائع ، ثم نتقدم الى مجلس الادارة بأسعار مخفضة ونطمس على الفروق .. بالمصادفة الموت . ما أغربها من مصادفة .. ان الموت يلقي المرء في منتصف الطريق ويسأله : ماذا تصنع ؟ .. عندئذ يكف السارق عن السرقة والمرثي عن الرشوة والمجرم عن القتل . اني الآن أرى أبواب السماء مفتوحة ، أن هناك صوتاً خافئاً يهمس لي بالدعوة . سأذهب . سأذهب لأصالح ربي وأطلب منه الغفران .

وبعد هنيهة أحضر اخدم الادوية والعقاقير . فجرع منها

المدير وبلغ . واذا به بعد حين يشعر بانتعاش قلبه ، فيفتح عينه
واذا بالموظفين حوله واجمين .

عندئذ يذهب كل منهم في سبيله ، فيحرق الوكيل في وجه
المدير ويقول :

— والآن .. اذهب لمقابلة الموت الحقيقي .
— حسناً .. سأذهب .. توكلت على الله .



دخل المدير الحجرة ، فوقع بصره على ذلك الشخص الصارم
السمات النافذ النظرات ، فأسرع اليه وأخذ يده مصافحاً . ثم
جلس الى جانبه ، متخلياً عن مقعده خلف الطاولة تقدير الضيفه .
ظل الضيف معتصماً بجمل الصمت . فهو لم يرد حتى تحية
المدير ، مما زاد قلب المدير رهبة وتقديراً .

وفرك المدير كفيه ، ثم بدأ يتحدث قائلاً :

— لا شك أنكم مستأثرون لحال الشركة وما أصابها من
تدهور .

وأمسك عن الكلام ، بغية الاستماع الى رد الفعل عند الموفد ،
ولكن الموفد ظل صامتماً . فظن المدير أنه يسخر من هذا القول
الذي لا يستحق ان يعلق عليه ، واءمقد في ذاته ، أن الموفد

يعرف حقائق أعمق من هذه الحقائق التي سردها . فما عثم حتى نهض من مكانه وجلس الى طاولته وهو يقول :

— حسناً ، فما دمتم تعتمدون الصمت ، معبرين بذلك عن سخطكم ، فأني مز مع أن أقدم استقالي . .

وتناول ورقاً وقلماً ، ثم راح يكتب استقالته . وبينما كان منهمكاً في لم شعث بعض الألفاظ التي اراد أن يسلكها في سطور الاستقالة ؛ تقدم معه ابراهيم وهو يخرج من جيبيه بطاقة ويقدمها اليه .

تناول المدير تلك البطاقة وهو مذهول دهش . ثم قرأ :

« عزيزي حمدي .. »

بما أنكم حدثتموني يوم أمس في المقهى ، عن حاجتكم الى رجل يقوم على تنظيف الدور الرابع ، فاني رأيت أن تضعوا ثقبتكم بهذا الرجل الأمين . ولعل هذا الرجل خير من سواء فهو اصم لا يسمع شيئاً مما يقال . فما اعذب الموظفين الصغار الذين على شاكلته .

جندي في السماء

مهدة الى شهداء ١١ كانون الاول

شهداء معركة طبريا

انا طفل صغير ، في السابعة من عمري .. كنت بالأُمس في عهد دامس، عهد لم يمنحني حق المعرفة ، ولم يسخ لي الحياة الحرة . اما الآن فأنا اتقصى الحرية ، واسترسل في تفويض العبودية عن نفسي الصغيرة .

بالأمس كان لي اخ ، اما اليوم فلم يبق عندي أخ .. وجميع رفاقي الأَطفا لهم إخوة يحبونهم ويقدمونهم .. اما انا فقد كان لي اخ .. ولكنه الآن في السماء .

جميع أهلي وأقاربي .. اعتبروني غيباً ، ولكنهم اخطأوا ، لأن الطفل يعرف كل ما يجري على الكرة الارضية .

وأحببت الا يعصى علي امر ، فحزنت مع أهلي وأجهشت في البكاء ، أمام صورته التي لم تذو فيها ابتسامته المشرقة .. ولكني مع ذلك كنت اعرف ان اخي سيعود ذات يوم ، وسوف أسعد واسر بمقدمه . فالاطفال يحبون ان يمشوا جانب الضباط ويلتذوا من حركاتهم ، ويسروا من تلمس أزرار معاطفهم ، ويحبوا

من تقلد قبماتهم الوامعة التي تغمر نصف الوجه .

وقبل يومين فقط ، أمر اخي برسالة ان نحصل له على دار سكن . فهو يرغب في الزواج .. وبحثنا له وقتشنا .. فلم نمر على دار سكن ، لان السكان منحشرون في جميع الابنية والمساكن ، متلاصقون قرب بعضهم ، ينتشون برحيق الحياة ، فلم يسمحوا لآخي بأن يغوص في جنباتهم ، لينعم بما ينعمون ويلتذ بما يلتذون بل ولم يشفقوا على خطيئته التي رأت ان تخلد الى قلب أخي الدافيء حينما يعود بعده الى خطوط القتال .

.. بلى .. لقد فشلنا في إيجاد مسكن .. ولكن المشيئة الخفية التي تكبل ضائرنا وتتجاوز عقولنا ، اختارت له مسكناً صغيراً اجل فهناك خارج البلدة .. تقوم فسحة خضراء لا تستقبل الا الصامتين .

وعاد أخي كما كنت آمل .. وزارني صديقي كي يراه ماشياً جانبي . ولكن صديقي في هذه المرة لم يره ولم تقع عليه عيناه الصغيرتان . لأن أخي جاءني هذه المرة في صندوق خشبي موصد . أجل في صندوق خشبي لم يسمحوا لنا بفتحه ونبشه كي لا يزداد البكاء .

في ذلك اليوم هطلت امطار غزيرة ، والصندوق في الغرفة يجذب الآلام . وأبي جاث قربيه في ذهول كلي ، ملصقاً خده بجانبه الخشن ، كأنه يستمع الى وجيب قلب ابنه الذي لم يبق منه

إلا الصدى المتباعد . وأحد من الناس لم يقترب من الصندوق
إلا والقي بالأزهار عليه . حتى أمسى هذا دوحة وارفة من ربيع
دافئ ، أيقظته مشاعر الناس على أفق جديد من حياة أمة أخي
ووطنه .

ومرة ثانية ، اشفق الناس علي وظنوا أنني حتى منتصف
النهار ، لم ادر من الامر شيئاً . ولكن الأطفال يعرفون كل شيء
مهيأ في سجيّتهم .

وطال امد زيارة أخي . حتى خيل لي انه جاع في صندوقه
ولكني لم اقترح تقديم الطعام له . لأنني اعرف انه لم يعد بإمكانه
ان يأكل . لقد تكون اسنانه محطمة . وثغره ممزقاً . لا بل ان
شهوة الطعام في نفسه انفقّت .

واقتربت من الصندوق ، ولم يكن هناك من يؤكد وجود أخي
فيه . كان يوماً من دخان . ورفيقي بجاني ايضاً لم يصدق . ففي
الاحلام يشاهد الصغار اروع المآسي وافدحها تتحقق . وهذا
مشهد ، مشهد أن نستيقظ بعده . وكان أبي وحده يستطيع ان
يصف ما يشاهد في قلب الصندوق . ولكن لسانه كان منحلاً
رخوياً . كان يحدق في جنبات الصندوق فيخترق بطرفه الثاقب
المثقل بالأمم والأسمى تلك الألواح القائمة . فيرى جسد ابنه ويلقي
عليه نظرات الوداع . نظرات ممزقة زائغة . نظرات لا تهدأ ولا
تستقر ، فبين تلك الألواح المتحدة ، جسد ممزق كاشلاء زورق
صرعته صخرة القدر أبادته .

.. وعجبت وصديقي ان يتمزق اخي .. وتساءلنا .. أيتمزق
الانسان بالسكين كما تتمزق كتلة من اللحم .. وأحسنا بقشعريرة
في جسدنا .. وطاف في مخيلتنا ، ان الخاب الحيوانية تمزق
الاجساد ولا تتورع عن نبش القلب الانساني من مكمنه الآمن ،
ثأراً لطبعها الوحشي المتأصل ، وثأراً لدناءه سجاياها المتوارثة .
واقتربت من الصندوق أكثر .. فلم اسمع همساً ولا صوتاً .
فلمائت وديع كل الوداعة ، هادئ كل الهدوء . فارتعت وصديقي
الصغير من صمته الازلي . وسألني صديقي « ان يخرج لنراه »
فلم احفل باجابته ، والاقفال تزعمت جسده وهما هي صامتا لا
يحتلي غمها .. وطففت حول الصندوق ثم مددت اصبعي الرفيعة
البیضاء في ثقب دقيق ، فلمست يد أخي . وكانت باردة . ثم لمست
كم معطفه فاذا هو مهترئ ممزق . والازرار ارتحلت عنه ، وضغطت
كفي ، كي اتلمس صدره ووجهه ولكن الثقب دقيق ، فاخرجت
اصبعي ، فاذا هي حمراء قرمزية مشبعة بدمه القاني . دم يجري في
عروق جميع الصغار والكبار . ويا للأسى ان أخي بذل دمه
وازهق روحه ..

وانتقلت باصبعي المصطبغة بالدماء الى ركن قصي ، وحدقت
بهذا السائل المباع ، فلم ار سوى حديقة من الاقحوان الاحمر
تذرع اصبعي . حديقة فيها عندليب يؤمن باغصانه ووروده .. لم
ادرما الذي حشر في مخيلتي تلك الرموز انها ذكرى ستخلف
في ذهني على الدوام ، صورة ذلك المجد الذي شاده أخي على

نافورة فوارة من دماء قلبه العريقة ..

وعند المساء ، انتقلوا بجثمان أخي إلى المقبرة . وكان صديقي الصغير قد افترق عني ، وذهب الى بيته ليأكل ويعيش .

أما انا ، فقصدت المقبرة من جانب آخر . واستميتت الجنائز المقدسة ، فرأيت المسكن الذي اشتراه الوطن الى أخي .. كان مسكناً لا فسحة فيه .. لأن ساكنه عزف عن الحركة ، وابطل القيام والعود .. أجل كان مسكناً ضيقاً ليس له باب أو نافذة .

ولم يسعني الا أن احدث بهذه الجموع الغفيرة .. فقد جاءت لزيارة أخي مرة أولى وأخيرة . وكانوا جميعاً يبكون والمناويل على مآقيهم .. ذلك لأن السماء تبكي بغيومها ارضنا . ارضنا ذات الصفة الانسانية التي لم تركز عليها بعد معالم الحب الانساني خلال احقاب التاريخ .

ونزل الصندوق أخيراً الى مرقد أبي نادى أخي في شيء من الذل والعبودية ، ولكن أخي ذهب بعنفوانه وكبريائه ، وتذر التراب كما تتذر الامة العظيمة كرامتها وعزتها .. ورحلت بعد هذا ، انظر في وجوه الناس ، فأشاهد في كل وجه صورة أخي ، وفي كل سمة ملامح أخي . أجل فهو لاء أيضاً اخوتي .. ويمكنني ان اشغل قلبي بحبهم .. لأنهم أيضاً سيبنون المجد كما بناه أخي الراحل .

..أنا طفل صغير. في السابعة من عمري. وساغدوا رجلا .
اجل انا كالشعب .. وانا بعقيدتي خيرة الوطنية والآباء ..
أنا لم أفتقدا خاء، أنا لم اندب اخاً .. وانا لم ابث آلامي واحزاني .
لأن الكل اخواني وان الجميع اخوة في مضمون كلمة الشعب .
في ذلك اليوم هطلت أمطار غزيرة . هطلت على المروج
والمراعي والحقول ورؤوس الناس . فأنبئت العشب وانمت
السنابل . هطلت بسخاء كي نستمر في عيشنا . وكي تستمر حياة
امتنا في انقاس اجيالنا الصاعدة .

فودعنا الشمس ونمنا ليلنا واذا بها تشرق من جديد .

الوطن السعيد

استدان ساطع من حصالة أخته الصغيرة ، عشرين قرشاً ، دفع منها عشرة قروش اجرة ذهابه في « الباص » واحتفظ بالعشرة الأخرى للعودة . ثم قصد ملتقى الشباب ، امام « سينما حلب » . كانت دور الملاهي آنئذ تغص بالرواد ، وكانت الاعلانات المثيرة محط أنظار الشبان . فهي بالنسبة لهذا العصر ، حقائق واردة في شكل راقصات وقتلة سفاكين ، ولصوص يجتازون الحواجز ، تكشف عنها أضواء بنفسجية وحمراء ، تنبعث تارة وتنطفأ أخرى . وكانت هذه الحقائق التي تقع في نفوس الشبان ، موقع الحقائق الدينية بالنسبة للشبان القدماء ، توقظ في نفوسهم أحاسيس غريبة ، ومشاعر ثورية ، تجعلهم أبدأ في تمرد .

وكان ساطع أشد أولئك السذج تأثراً . من أجل ذلك حمل لواء الثورة على استبداد العادات المحلية . فعندما اكتمل عقد الرفاق . قال ساطع :

— لقد قررت ، أيها الرفاق ، السفر الى البرازيل
فصاح الاتراب صيحة واحدة .

— الى البرازيل ؟

— أجل الى البرازيل !! ، وماذا في الأمر ؟ .. الاترون

معى أننا ننفق شبابنا في قتام ذهني ، و كبت عاطفي .
فأجابه أبو نافع ، وهو أكبر الرفاق سنأ ، وله في قلوبهم
مكانة رفيعة ، لآرائه الحصيفة :

— أنا لا استحسن فكرة الهجرة .

— ولماذا ؟ ألم يهاجر قبلنا رجال ؟ .

— هذا صحيح ، ولكن ظروفنا أفضل من تلك الظروف
التي دفعتهم الى الهجرة .

— وماذا في ظروفنا من محسنات ، ان الحال أسوأ ، هيا
قل لي بربك ، أعندك ما يسر النفس ؟ . أين هي تلك الاندية
الراقية ؟ . أين هي تلك المراقص التي تذهب عن النفس همومها ؟ .
ان مئات الاشياء تنقصنا . ان أرزاء الحياة زادت عشرات
الأضعاف .

— إنني أرى من المفيد ان نفسجهم مع حياة العصر ونحرق
في بلادنا .

— أنت مخطأ . ان الهجرة تبتعث روح المغامرة في نفوس
الشباب ، فيذرعون الأرض بالرحلات ، ويقطفون آثار الثروات
ثم يعودون الى وطنهم ، أو لم تسمع بجورج مارديكيان .

— جورج مارديكيان ؟ .. ومن يكون ؟ .

— انه مواطن عربي ، هاجر الى الولايات المتحدة ، وهو
الآن يملك أعظم مجموعة من المطاعم في سان فرنسيسكو .

— هذا صحيح، ولكن ألا تدري ان الوطن يفنقد عناصره
النشيطة بالتدريج .

— تباً لك من شاب ، إنني لا أفكر بالوطن ، بل بنفسي ،
ولا يهمني المكان الذي يؤمن لي تلك المطايب .

لم ينبس أبو نافع بنت شفة ، فقد هاله أن يسمع صديقه
يتحدث فيما يشبه الكفر . فقال عبد المجيد :

— فكرتك ضعيفة .

ثم قال عبد السلام :

— إذن هاجر الى فنزويلا .

— فنزويلا ؟ . إنها لا تعجبني ، فالعرب اصبحوا فيها كثرة .

— وما قيمة ذلك .

— أني أريد ان أقصد بلاداً حاملة .. مثلاً تاهيتي ، كوبا ،
هونولولو ، حيث الرقص في الشوارع ، والحرية تسود كل شيء .

وانبرى شاب أشقر الشعر ، يشبه فقيهان الانكليز ، اسمه
عبد الوهاب ، فقال :

— اذن اذهب الى حيث تريد ، ثم اعمل على استيرادنا
بواسطة من الوسائط .

ثم اعترض السميل نظمي ، وهو شاب رصين ، هادي نقاب
النظر ، فقال :

— أنا لا أرتكب حماقتكم مطلقاً ، فعندي من الافكار في
وطني ، وما يجعلني في غنى عن تلك المغامرات .
فقال له ساطع ساخراً :

— أنت تعني ان اعمالك التجارية ، تغنيك عن ان تحظى
بمركز لائق في البيرو ، أو البرازيل ، أو تاهيتي . قل لنا بربك ،
كم ربحت بصفقة الشعير والعدس .

— لماذا تسخر ؟ .. لقد ربحت بالصفقة ثلاثة آلاف ليرة .

كان هذا الجواب محرّجاً لملك الآراء التي كان يتداولها
ساطع . غير أنه لم يقض على مخطط الحياة التي كان يهندسها ،
فقال منير ، وهو شاب قصير القامة دمث الخلق :

— اني بعد ان تزوجت ، لم تعد تعجبني أفكار الهجرة ،
فكل شيء بالنسبة لي قد استقر وتوفر ، فها هنا وطن جميل
وفير ، وكل شيء فيه رخيص ، الا المعتقدات الخلقية والدينية ،
عكس تلك البلاد التي تبشّدقون باطرائها .

ومر بهذه الجمعية ، شاب أنيق ، اسمه فريد ، فما أن شاهد
ساطع حتى اخبره بأن تشكيلات مديرية التربية والتعليم ، قد
ظهرت منذ الصباح ، وأنه عين معلماً في قرية « جندريس » .
فدهش ساطع أنه أصبح معلماً ، رغم أنه يأنف من هذه المهنة
التي لا تليق به .

- وانضم فاخر اليهم ، ثم سأل :
- أين ستقضون شهرتكم ؟ .
- فأجابه مليح :
- في مقهى الحديقة ، ما رأيكم .
- فقال نزار :
- إني أعتذر .. فزوحتي وابنتي ناهد في انتظاري .
- فقال أبو نافع :
- اننا نعذر المتزوجين .
- فانفجر الجميع ضاحكين ، وهنا قال ساطع :
- وانني أيضاً أعتذر عن مشاركتكم السهرة .
- فقال لطفي :
- ولماذا ؟ هل ستسافر هذه الليلة الى البرازيل ؟
- عندئذ قال فريد دهنشاً :
- ماذا تقول يا لطفي ؟ هل سيسافر ساطع الى البرازيل ؟
- أجل .. سله .
- أصحيح يا ساطع ؟ .. يا لك من مجنون ، اشكر الله ان
هياً لك هذه الوظيفة .
- فأجاب ساطع مستنكراً :
- أشكره على شيء من البدييات .

— كيف تقول هذا .

— أقول هذا بلا خوف . فمن واجب الله الذي تعتقدون بوجوده ، إيجاد وظائف لأمثالنا .

نظر سعاد في وجه ساطع ملياً ثم قال :

— ان تفكيرك ما يزال مضطرباً يا ساطع .

— كيف تقول هذا وقد بلغت من العمر الربع قرن ؟

— اقول هـ—ذا ، لأن المراهقة ليست ظاهرة جسمية فحسب ، إنما هي فكرية أيضاً .

— ان الجدال معكم لا يفيد .

وتدخل أبو نافع بالموضوع ، ففصل بالأمـر ، ودفع بالشباب الى المقهى .

ولكن عبد الوهاب عاد فأثار الموضوع فسأل ساطع :

— وكيف ستسافر .

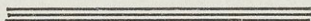
— افني انتظر لغاية أن يبيع أبي الدار ، عند ذلك سأطلب منه ثلاثة آلاف ليرة ، فاذا ما أمسكها عني ، هددته بالاختفاء ، أما اذا دفعها لي ، فأقول له بأنني أنوي العمل في بيروت ، وهناك أهيمـ ما هو ضروري للسفر .

وودع الأصدقاء ساطع ، ثم سألوه ألا يتوانى عن الكتابة اليهم ، ليطلعهم على مشاريعه وليصف لهم لون الحياة التي سيعيشها .

وافترقوا ..

بعد عدة أيام ، قميض لساطع أن يسافر ، فهيراً سريراً عتيقاً ،
وفرأشاً قاتم اللون ، ثم قصد مرأباً ، حيث قلته سياره عتيقه من
طراز « شفرولية » الى « جنديريس » . هناك جلس يكتب
الى اصدقائه عن لون حياته الجديدة ومشاريعه ، وكان يبدأ
رسائله بهذه العبارة « من جنديريس أكتب اليكم » .

وكان تحريف اسم القرية من « جنديريس » . الى
« جنديريس » يهدأ من ثورته ، ويبعث في نفسه الاطمئنان ، ذلك
لأن كلمة « جنديريس » أقرب الى اللغة الانكليزية .



صرع زبابت

اتخذ سلمان مكانه في مقهى البرازيل ، وهو في حالة فزع واضطراب ، فجعل يفكر فيما جرى بينه وبين صديقه من عتاب ولوم وتأنيب .

وما أن هدأت أعصابه قليلاً ، حتى شعر بالندامة على ما كان في نيته أن يفعل ، فشكر الله أن حرمه من جرأة قتلها ، وسد عليه سبيل خنقها ، فقد كانت عنايته دليل محبته . فما فرط بنفسه وما أقدم على شيء مستكره ممقوت ، بل اكتفى بصفعها صفعه قوية جعلتها ترتعي على السيرير باكية نادرة ..

جاء بطرفه أنحاء المقهى ، ثم نظر في الساعة المستديرة المثبتة في الجدار .

وما لبث حتى قال في نفسه . « ولكن المسألة بقيت بلا حل ... أي شيء يمكن أن يقنع صديقي لطفي باستقامة مسلكي ، إنه سيحضر بعد نصف ساعة ليأخذ المبلغ ، ثم يعمل على رفع الحجز الذي القاه على منزلي .. يا للخجل .. كان علي أن أقتلها ، ولكن حمداً لله على أنني لم أقتلها .. »

وبينا هو كذلك ، شاهد ذبابة عبر سحب أدخنة السيكرات ، قاصدة ساحة شخصه . ما لبثت أن طافت مرتين حول رأسه ثم حطت على جبينه بمثل ما تحط طائرة على أرض مطار . وبعد هنيهة انتقلت من مكانها ثم استقرت على أرنبة أنفه . وأخيراً اختارت لإبهامه مسرحاً لا أداء رقص بديع رويح عن نفسه ببعض الشجوة والألم .

لقد رأى في حركاتها شهاً عظيماً بتلك الحركات التي كانت تأنيهاً معشوقته بهيه . فهذه رقص ترويحاً عن الأنفس ، وتلك من أجل لا شيء .

وهنا تذكر أيامه الخوالي . تلك الأيام التي أوقدت في قلبه حباً جارفاً وغراماً عنيفاً جعلاه يقتبس عن أسطورة العبودية فنوناً يقتدي بها كلما آنس الى الراقصة بهيه . . حتى اذا ما استغرق به غرامه المشبوب سنة أو أكثر ، ظفر الشقاء بنفسه ، وفاز الافلاس بثروته ، وحظي الفقر بعقله ، وبات رجلاً لا يملك الا منزلاً وصورة راقصة اسمها بهيه .

تذكر ذلك الماضي القاتم ، والذباب ما تزال تؤدي رقصتها البديعة على أبهامه . فأقر بشرعية ما أوقع صديقه لطفي من حجز على منزله ، وأمن بصحة ذلك العمل ، بعد ان واعدته مرات عديدة بوفاء جزء من الديون المستحقة ، ولكن ثروته الضخمة ذهبت هدرأ في مهب غرامه العنيف . فكيف به يحظى بما ييسر أمر صديقه ويجعله قانناً قانماً برفع الحجز .

لقد ذهب منذ نصف ساعة الى مسرح فريال ، فقابل معشوقته وشكى اليها أمره وبسط لها شأنه . ولكن معشوقته صدته صداً لطيفاً ، ومنعت عنه بعض حوائجه مما أثار حفيظته . فعزم على قتلها . ولكنه لما أزمع ، انطفأت فيه جذوة الحماسة بتعبلة من شفقتها ، فلما آنس في نفسه جبناً ولمس فيها فرقاً وجذعاً ، لطمها بكفه ثم رحل .

وبعد فترة قصيرة، تاب الى رشده، فجعل يحدث نفسه قائلاً :
« تباً لنا ما أشقانا نحن البشر ، اننا فضوليون ابدأ على مبادئ
الفن .. نريد ان نطعم في أذهاننا صوراً عن مفهوم الفن والجمال،
فنلجأ الى رخصيات النساء، نولين اهتمامنا ونهين اعجابنا ، حتى اذا
ما اخذت قلوبنا بسحر اغرائهن . بدأن بامتصاص دمائنا . ثم ان
هناك معشراً آخر ، يدعى أنه موجد في اللهو والعبث والميسر
والمشروبات ، نافذة يطل خلالها على مجاهيل الوجود وسببيته ..
فيغرق في بحر الرذيلة ، وينطوي في طيات المخدرات ، وينجرف
في تيار الميسر ، مدعياً ان التماس الفن هو في هذا الاغراق
الكلي .. يالهم من مجانين حمقى ، لقد عملت بمزعمهم ، ردحاً
طويلاً .. فأحببت راقصة كل الحب، وشغفت بفنها كل الشغف،
وشربت معها الراح، شرب الظامى الماء ، ولعبت الميسر في سبيلها
لعب اللصوص الأفاقيين . ولكن الخسار كان ينحت في الوقت
ذاته ذلك التمثال الذي شيدته عن مفهوم الجمال والفن .. فتداعت
أخلاقي ، وتهدد جسمي بالمرض ، واعترت ذهني فترات خبل
وسكون ... أواه كم نحن مجرمون . إننا نثقل كاهل البشرية
بضروب من الرذائل ، ثم نطالب الزعماء ورؤساء الاحزاب
بمحوها واجتثاثها . إننا في الحقيقة نطلب الاعدام لأنفسنا دون
ان نشعر .. ما أحرانا ان نتأمل ذبابة ترقص ، أو نحلة تطير ،
او عصفوراً يغرد ، او فراشة تتنقل ، او جدولاً يجري ، او
شجرة تهتز ...

يا لئامن اغيابه ؛ ان الذبابة تعبر عن أبرع فن واخلد جمال ،
دون ان ندفع شيئاً من المال .. وهكذا كل شيء صغير جداً .
تاوه سليمان ، ثم ارسل زفيراً محترقاً ، وقذف ابهامه في
الهواء ، فطارت الذبابة ، ولم تكد تمضي فترة قصيرة ، حتى وقع
طرفه على صديقه لطفي مصطحباً اسماعيل وقد دخلا المقهى .
فحياهما ثم اجلسهما الى جانبه وجعل يسألهما عن صحتهما
واحوالهما .

وبعد حين وجيز حث اسماعيل ، ذلك الصديق الوسيط ،
الطرفين على الاتفاق . ثم شرع يبرر عمل لطفي في القاء الحيز .
اثناء ذلك وقفت الذبابة على خد لطفي ، واخذت ترقص
رقصتها المألوفة فما لبثت حتى استلبت انتباه سليمان من جديد ،
وجذبت نظره ، وهيمت على يقينه ، حتى خال نفسه يشهد رقصة
من رقصات معشوقته بهية .. تلك التي صمم على قتلها منذ اكثر
من نصف ساعة .

اثناء ذلك خاطب لطفي صديقه اسماعيل قائلاً : انه لن يهتم لوساطتك .
انظر انه يحمد بوجهي وكأني عدوه اللدود ، ولكن ماذا صنعت
قل له ماذا صنعت ؟ انني افسحت له مجالاً واسعاً كي يسدد لي
بعض الديون ، ولكنه استغل تلك المجالات في تنقيذ مآربه ،
حتى غدت اموالي في حكم المفقودة أفليس من حقي ان اقوم
بالقاء حجزاً احتياطياً يكفل لي شيئاً مما اسلفته ؟ .

أو لم أقل لك يا اسماعيل أن لن يقبل المفاوض ؟ ها هو ذا ينظر
في وجهي كأنني عدوه اللدود . هيا بنا ننصرف .

كان سليمان أثناء ذلك مأخوذ اللب برقص الذبابة ، كان
مأخوذاً بمحركاتها التي تشبه حركات معشوقته بهيمة ، تلك التي
توجت رأسها باكليل الكذب والغش ، بغية استنزاف أمواله .

ومرة ثانية عادت الى مخيلته صورة حياته القائمة ثم تذكر
قراره الذي اتخذ من أجل قتلها ، تخلصاً من شرها ، وقطعاً
لدا بر ما بينه وبينها من تجاذب ، وإيقافاً لحركات رقصتها التي كانت
له كلسلسلة بالنسبة للطب ، واعترة احاسيس جعلته يحتقر نفسه
ويزدرجها . ثم غشت عينيه غشاوة رقيقة ، جعلت من الذبابة راقصة
حقيقية تهز بدننها وأرجلها . فرفع يده صافعاً كذبها وغشها . كما
فعل منذ أكثر من نصف ساعة مع معشوقته . ولكن يده في
هذه المرة أصابت من خد صديقه لطفي مصاباً اليماً جعلته يقفز
عن كرسیه هارباً ..

وبعد قليل ، صحا من غيبوبته فسمع صديقه اسماعيل يقول :
يا للوقاحة . كيف بلغت بك الجرأة يا سليمان ان تصفع صديقك ؟
ثم شاهده يرحل عبر سحب أدخنة السيكرات .

ولما مضت لحظات فائتات ، شاهد الذبابة الراقصه مقتولة على
الطاولة . فخرج من المقهى وهو يخاطب نفسه كالبلهاء ..

الهی شمع جبر شوم

لبث فترة عند الباب ، وقد اخذته رعشة باردة ، سرت في قدميه الخافيتين وبلاط الدهليز المشحون بالبرودة ، يصرع الدفء القليل المسفوح في اوصاله .. فيرتجف .. وكل شيء من حوله ساكن ، الا ذلك القميص المرتق المنشور على جبل رفيع . كان يهتز متألماً . لـكأنه يشعره في ايضاح ، ان ريح الشمال ما زال تغزو بلدته الصغيرة القائمة على الرابية في غير اشفاق ، وآلام المشردين من ابناء جلده في استمرار ، فالحياة المذبذبة بالآلام والخطوب ، ركبت اعناق اولئك البؤساء في غير رفق ولا لين . كان ما يزال واجماً مكدرأ ، وظل شجرة عالية يتراقص امامه في غلظة .. على البلاط الاصفر ، حيث مات الصخر تحت اقدام البرد الشديد ، وظلال أخرى من الآلام تنقلب في مخيلته ، تشعره بوحدته ، وتضرم فيه احساس الغربة والوحدة . فيتألم .

وانتفض الفتي من غفوته مذعوراً ، واستطاع ان يسمع صوت المعجوز ، تقول له .. « انتبه . لا تطأ بقدميك عتبة الدهليز اني آتية . »

فلبث فترة عقد الباب ، وقد اخذته رعشة سرت في قدميه الخافيتين وطفن الى ان مرض السل قد يتراعى من جسده على العتبة ، فيتدرج هذا في وهن حتى يغوص في جسد المعجوز ، ومع ذلك فلم يظله انذارها ، لانه اعتقد انها ستشتري منه المياقوتة بشمن مرتفع ، وعندها سيتألب على مذهب الذل .

وارتسمت ابتسامة على شفقيه الرقيقتين اللتين سلّبهما الجوع
حمرة الدم ، ولكن سرعان ما اختطفها الريح النابجة ، فقد ذكر
حزنه وتأثره من مصرع أسرته . أسرته التي كانت تعمل في هداة
وسكنة ، من أجل الحياة .. فبكى .

وكان من قبل قد بكى بذات الدموع . بكى حين خر والده
صريعاً تحت شجرة البرتقال . وكانت اغصانها وقشذ مشحونة
بازهير عبقة ازاهير كالامال في بسمتها .

جنود .. جنود مسلحون اقتحموا الدار والبيارة ، وبرز لهم
ابوه للذود ، محاولاً ان يزيل اثار اقدامهم لكي يحافظ على محراب
حياته . ولو ان غرة سقطت كلها .

تذكر القى هذا .. ثم بكى .. لا بل وواصل البكاء فقد
تجسدت من جديد ، امام ناظره . جثة والده وهي ممددة على ارض
الوطن . الى جانبها بندقية ساخنة ، ظلت تدافع عنه بضغ ثوان .
وقد القى بنفسه على ابيه المقتول آنئذ ، يرجوه ان يعيش .
يرجوه ان ينهض ليعمل ويشتري ويقدم له الهدايا .. ولكنه عرف
فجأة ، ان اياه لن يتحرك .. ولن يقول بعد الآن : ان هذه
التربة مزوجة بدمي وعرق جبيني ، انها سفر كياني ، فلنحافظ عليها ،
فقد مات .

واستيقظ بعد حين من شروده القاتم .. فمسح دموعه بكمه
المتهدل ثم قال بصوت خفيض .. « سأنتقم ، بل سأنتقم .. » ثم
خرجت اليه المرأة العجور . وكانت بدينة ومقلدة بالاساور

والحلي .. بيدها قطعة حلوى تأكل منها .. وبيدها الاخرى ..
سيكارة تحترق .

فسألته ..

— من أين لك تلك الياقوتة .

وتلصقاً في الاجابة .. ثم احمر وجهه ، وبدت عليه علامات
الارتباك .

— .. اجب .. قل ، من اين سرقتها ..

وانتفض من مكانه جزعاً .. ثم قال ..

— .. انا ؟ .. انا لم اسرقها ، اني لست سارقاً .. اين هي ؟

اين هي .

— اتريدها ايضاً .

— انها لي .. انها ملكي .. انها املي ..

— يا لخبثك ايها الصغير . أمن المعقول ان تملك انت .. انت

الفقر ، حلية ؟ قل لي بربك ، من اين سرقتها ، قل لي وسأعيدها
لك .. او اشترىها منك ..

— انها .. انها .

— .. قل .. لا تخف .

— اسمحي لي ، قانا لا نستطيع ان ابوح لك بسرها .

وضحكت العجوز ، ثم قطعت بانيابها لقمة من الحلوى ..

والقت بالسيكارة بعيداً . ثم قالت :

— انتظر قليلا .. سأعيدها لك .. ولكن حذار ان تطأ
بقدميك عتبة الدهليز ، حذار .

حذار .. كانت هذه « الكلمة » العميقة هي آخر ما سمعه
من امه بعد هجوم الاثمين .

لقد قالت له امه وهي في النزع الاخير .

« حذار ، ان تفرط بهذه الياقوتة ، انها ارث من أمي ..
عن جدتي ، انها ذكرى راتحة الاجداد والتاريخ ، فلاتبع
التاريخ .. ولا تشتت التاريخ . » فقال في ذاته :

« يا للقدر ويا لهول الخطوب ، من يعلم اني سأصبح ذليلاً مريضاً
طريداً .. ويدي ياقوتة تدل على نصاعة تاريخي وعراقته ...

انا لست كذلك .. كم احب ان تدرك العجوز هذا فتنصفني
وتشتري الياقوتة ، ان ابا حسن .. ينتظرنى .. فقد وعد ان يبيعني
مسدساً بمائة ليرة . اجل سأبيع التاريخ لاشترى ذلك المسدس
وسأبيع نفسي لانتقم للاب الذي قتل تحت شجرة البرتقال ..

.. اجل بإمكانني ان انقذ روحك ايها الاب الغالي . وانت
ايتها الام الحنون . اجل اني . سأقتل من قتلكما . واقتل ظنكما
من انتصار من قتلكما . وسأقتش في شوارع غزة . لا بل سأقتحم
بيتنا الذي احتلوه . ثم سأواجه القتلة . فاشهر في صدورهم المسدس
وافرغ ارجاصاته في صدورهم ..

أجل سأفعل كل هذا ، فانتظرا .

وهبت نسمة ريح باردة ، اخفى على اثرها ، رؤوس اصابعه
تحت ابطيه ، ثم استمر ينظم خطة الانتقام لوالديه ، في مخيلته
ويعني نفسه بالفرح لما سينال من زهو وخيلاء واطراء من أبناء
بلدته الحبيبة الذين سيجلون عمله ويقدمون فيه هذه الروح
العالية المقدسة .

وفجأة عادت العجوز ، ونفحته ياقوتة ثم قالت له :

— انا لا انصحك في ان تفرط بهذه الياقوتة الثمينة .

.. وذهل الفتى من هول كلماتها ، فتحسس باصابعه الياقوتة

وألقى بصره عليها يتفحصها ويتمعن جوانبها ثم انفجر قائلاً .

— .. انها ليست ياقوتي ، انها مزيفة انها ياقوتة تبصينها

للأغبياء ، ماذا فعلت ، أيتها العجوز ، أيتها الدنيئة .

— ماذا ، ؟ اتحقرني ، أتهمني ، اني دفعت اليك الياقوتة التي

عرضتها علي فكن حذراً في كلامك . والا افشيت امرك للسلطات .

— وأي أمر هذا الذي ستفشيته .

— سأعلن انك سارق .

— أيتها الخائنة . أتودين ان اموت قبل ان انتقم لوالدي .

— انك لصغير .. اذهب

لم يستطع الفتى ان يكبح جماح نفسه ، فدفع العجوز الى

غرفتها .. وتراجعت هذه مذعورة ، فاعرة الثغر ، مشلولة اليدين ،

لا تجد حيلة في دفع الخطر عنها ، فقد وطأ السل عتبة الدهليز ..

وأنه لا شك بدأ يتدرج الى صدرها ، ثم الى ثغرها وانفها ثم الى رثتها، وقد شعرت بوطأة المعركة واحسّت بأن جرائم السل تتغلغل في عنقها ، والفتى فوقها يتصبب عرقاً بارداً ، بمعل أصابعه في عنقها اللدن تارة ، ويطمس معالم وجهها القبيح بوسادة تارة أخرى .
.. ومضت دقائق معدودة ، احس على اثرها انه جالس على حافة اريكة عتيقة ، أعصابه منهارة ، وقوته الجسمية متلاشمة ، وشعر ان شيئاً مربعاً تلاشى واضمحل . انها صيحات اندثرت في اجواء الغرفة ، ولم يبق لها أثر .

ولكن طرقات عميقة ما زالت تدوي في رأسه ، تعقبها بين حين وحين صيحات أناس يتوافدون خلف الباب ، وبدأ يطوف من اعماق الغشيان الذي اسدله ارتكاب الجريمة على نفسه . حتى احس بضرورة فتح الباب ليرى الناس نهاية هذه الجريمة .

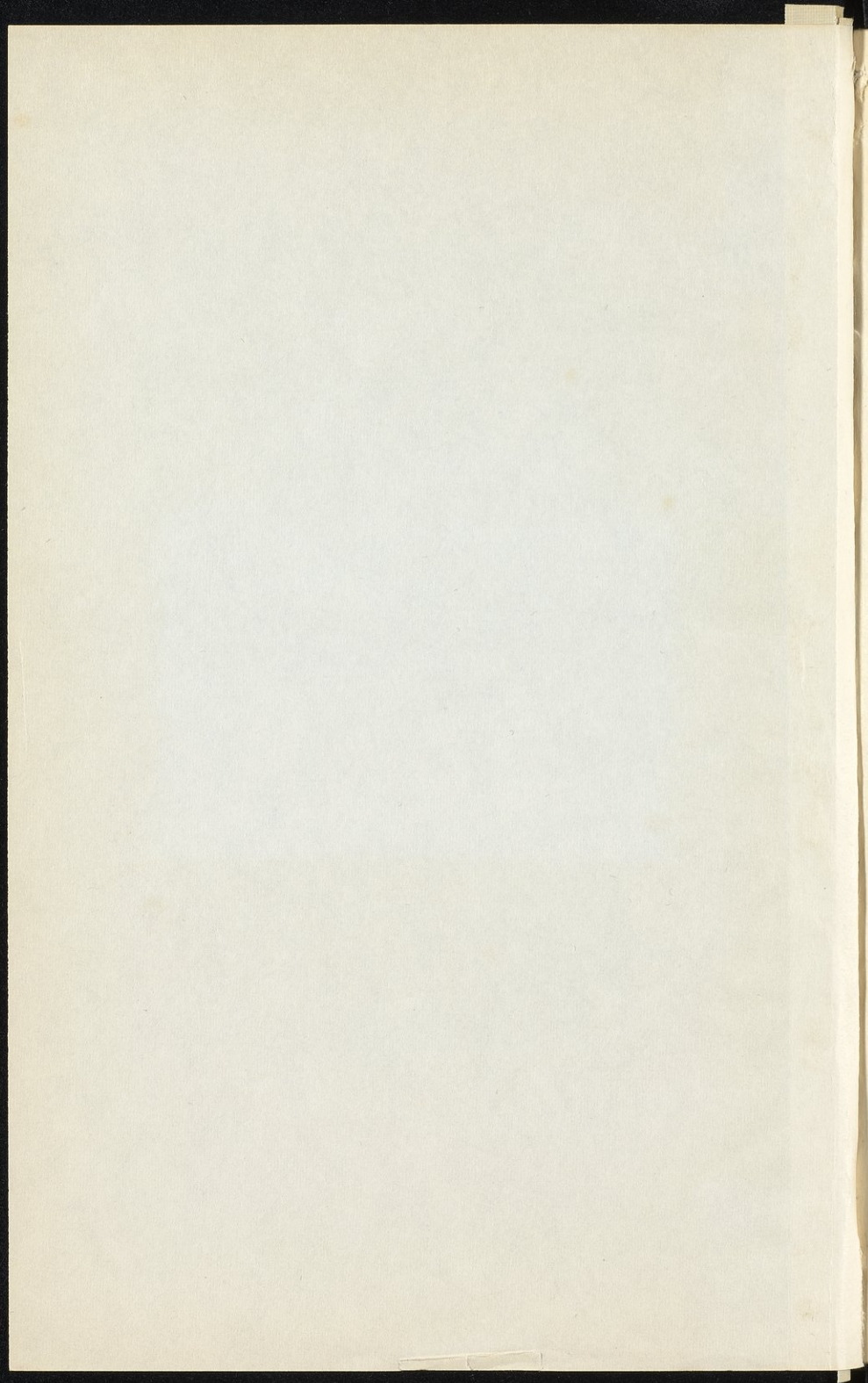
بعد فترة ذهبوا به الى السجن ، فشاهد وهو في طريقه ، قتلة والديه احراراً ، لم يقتلهم احد ، ولم ينتقم منهم احد ، انهم ما زالوا يتصرفون باعناق بقية ابناء البلدة ، ولكن . لماذا . لماذا ؟ لم يستطع الوصول الى صدورهم . لماذا لم يستطع تفريغ شحنة خفيفه من الرصاص في رؤوسهم ، لماذا ، لم يساهم في تطهير البلدة من الاقذار ، ذلك لانه وجد عائفاً وحائلاً ، وجد المعجوز تراوغ وتساهم من أجل جشعها ، بل وجد الجرثوم .
وانبسطت اساريره بعد هذا . ودخل غرفة السجن الأولى ، وهو يعتقد بانه قتل من قتل والديه .. ثم دخل الغرفة الثانية واستطاع ان ينام .

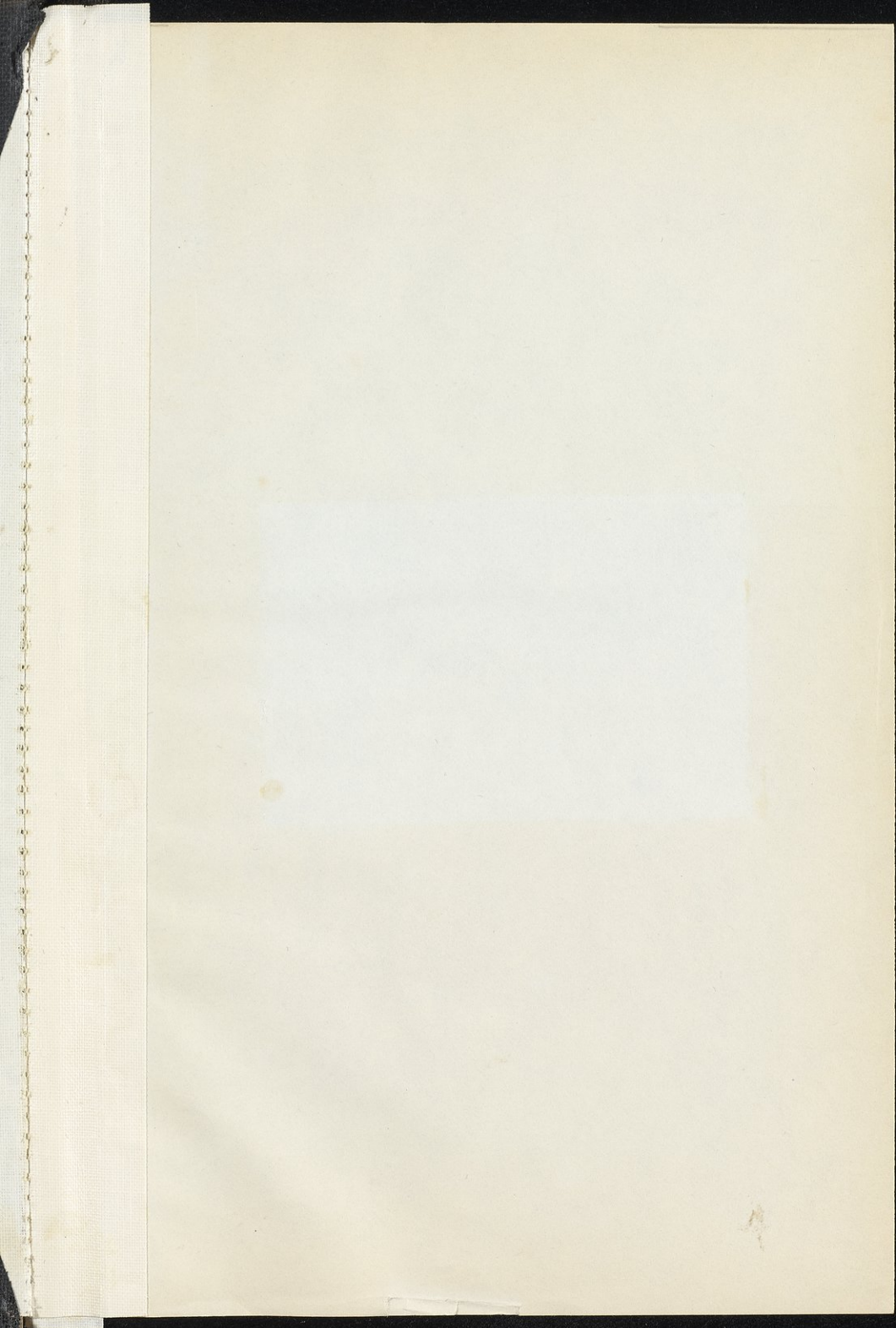
الفهرس

٥	المقدمة
١٣	جسد الجمهورية
٢١	الكارثة
٣١	السياج
٣٧	النأي المكسور
٤٣	الحقيقة والمسرح
٥٢	الأشجار الفاضلة
٥٩	الوجه
٦٨	جندي في السماء
٧٥	الوطن السعيد
٨٣	مصرع ذبابة
٨٩	البحث عن جرثوم









LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 073546242

(NEC)
PJ7816
.A95
J373
1958